

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

د. عدنان أبو عامر

أستاذ القضية الفلسطينية في جامعة الأمة

ملخص: تقدم هذه الدراسة كشف حساب للمقاومة الفلسطينية بين عامي 1967-1987، بشقيها الشعبي المدني، والعسكري المسلح، وأهم ما حققته من إنجازات، ووقعت فيه من إخفاقات، وأثرها على المحتل الإسرائيلي.

إلى جانب تقديم دراسة للمراحل المتتابعة التي مرت بها المقاومة، بدءاً بالشعبية السلمية، وانتهاءً بالتحدي المدهش الذي أبرزه المقاومون للظروف القاهرة التي واجهتهم، علماً بأن المقاومة بدأت بالحجر والمقلاع، وانتقلت إلى السكين، ورافقتها إدارة إعلامية وثقافية، إلى أن اختطت طريق العمل المسلح عبر عمليات إطلاق النار والكمائن المسلحة، ووصلت إلى حرب "صراع الأدمغة" مع الاحتلال، وشكلت جميعها أزمة حقيقية للكيان الإسرائيلي برمته.

كما تسعى الدراسة إلى إظهار الخطر الذي شكلته المقاومة على الاحتلال، وما أحدثته من "هزة أرضية" تمثلت بطرح السؤال المصيري المتعلق بالتهديد الذي أنتجته عملياتها، وإيراز مدى أزمة الجيش الإسرائيلي في مواجهته لها، وتوضيحها لفشل مواجهتها، وإخفاق الإجراءات التي اتخذت لقمعها.

مع الإشارة إلى الأساليب التي استخدمتها المقاومة لمواجهة الإجراءات الإسرائيلية، ومراحل الإبداع التي اتسمت بها على جميع المستويات الشعبية والتنظيمية والعسكرية، مع مقارنة ميدانية لأبرز التطورات التي واكبت مسيرتها في مختلف مراحلها.

The Development of the Palestinian Resistance Between 1967-1987

Abstract: This study provides an account of the Palestinian resistance between 1967-1987, the highest level in public, civil-military conflict, and the most important achievements, and signed its failures, and their impact on the Israeli occupiers .

Together with a study of the stages of successive experienced by the resistance, start popular peaceful, and the end of the challenge surprisingly highlighted by the resistance of the compelling circumstances that they encountered, note that the resistance started to stone and slingshot, and moved to the knife, and accompanied by management of information and cultural, that charted through armed action through the process of fire and armed ambushes, and went to war "conflict drain" with the occupation, and served as a real crisis of the Zionist entity as a whole .

The study seeks to demonstrate the danger that formed the resistance against the occupation, and has caused "an earthquake" was asking the critical question concerning the threat created by its operations, and heighten the crisis of the Israeli army in the face of resistance growing day after day, and

explain the failure of response, and the failure of the actions taken to suppress them .

With reference to the methods used by the resistance to the face of Israeli actions, and the stages of innovation that characterized the People at all levels, organizational and military, compared with the field highlighted the developments that have accompanied her in various stages .

مقدمة

شكلت المقاومة في فلسطين المحتلة الرد الطبيعي على ممارسات جيش الاحتلال "الإسرائيلي"، الذي احتل الأراضي، وقتل أصحابها، وأحرق بيوتهم، وعاث فساداً في حقولهم. ولم تكن هذه المقاومة وليدة احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة إثر عدوان عام 1967، بل تعود جذورها التاريخية إلى نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، منذ تأمرت قوى الاستعمار العالمي على أرض فلسطين وشعبها، وتبلور تأمرها بوضوح في إعلان بريطانيا تعهداتها التاريخي لليهود ممثلاً بوعد بلفور عام 1917، وقدمت بموجبه أرض فلسطين هدية ثمينة للمشروع الصهيوني، فكانت المقاومة التي لم تتوقف منذ ذلك الحين.

وتشير الوقائع التاريخية إلى تراكم التجربة التاريخية للمقاومين الفلسطينيين، مما مكّنهم من خوض صراع مرير مع أعتى قوة عسكرية محتلة في منطقة "الشرق الأوسط"⁽¹⁾، واجهوا خلاله الصعاب الشداد، وكانت مقاومتهم أقرب إلى أن تكون مهمة "انتحارية"، ولكن كان لابد منها، لأنها نشأت في ظل ظروف صعبة للغاية.

وتطرقّت الدراسة للمقاومة الشعبية المدنية، وأسباب اندلاعها، ومراحلها، وأهم مظاهرها كالاتحام الشعبي وحرب الشوارع، والتظاهرات الشعبية، والإضرابات التجارية والعصيان المدني.

كما تفردت الدراسة محوراً خاصاً بأساليب المقاومة المسلحة والعمل الفدائي، واهتمت بإيراد جملة من الإحصائيات والأرقام ذات العلاقة، وتوضيح أبرز سماتها، وصولاً إلى تقييمها، وقراءة سياسة الاحتلال ضد تصاعدها، وإيراد جملة من الإحصائيات الهامة.

(1) مصطلح سياسي درج الساسة على استخدامه مع بداية إعلان تأسيس الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين في 14 أيار 1948، حيث بدأ الكتاب والساسة الغربيون يروجون لهذا المصطلح رغبة منهم في تثبيت كيان العدو، والسعي لدمجه ضمن المنطقة، وعلى هذا الأساس تعاملت أجهزة الإعلام والدوائر الغربية مع الدول العربية على أنها أقطار "شرق أوسطية"، في مسعى منها لـ"تطبيع" الوجود الإسرائيلي ضمن هذه المنطقة العربية، ولذلك يأتي وضع هذا المصطلح بين قوسين ليعبر عن تحفظ الباحث عليه.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

وتختتم الدراسة بالحديث عن إجراء تقييم لمسيرة المقاومة، وأهم ما حققته من إنجازات، ووقعت فيه من إخفاقات، وأثرها على المحتل الإسرائيلي. وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي، مركزة على الجانب التحليلي بصورة معمقة بالقدر الذي يخدم فكرتها وأهدافها، ومبتعدة عن الجانب السردى إلا بالقدر اللازم لتوضيح بعض جوانبها، وأخذت المقارنة التاريخية الحيز الأهم فيها. واستعانت بوثائق ومراجع وشهادات خاصة بمختلف أطراف المقاومة، والبيانات العسكرية الصادرة عن جيش الاحتلال، والتقارير الصحفية التي صدرت تباعاً عن وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية والإسرائيلية، والاستعانة بمجموعة قيمة من المصادر العربية، مع الرجوع إلى عدد من الدراسات المنشورة في دوريات تاريخية وسياسية وعسكرية، وعدد وافر من المراجع باللغة العبرية، التي ترجمت من قبل الباحث، وتمت الاستفادة منها في العديد من المحاور المهمة.

أولاً - عوامل انطلاق المقاومة بعد 1967:

كشفت حرب عام 1967 عن زيادة الفجوة الفلسطينية بضرورة تبني خيار المقاومة، والاهتمام بالعمل الفدائي، مما زاد من مكانة المنظمات الفدائية، وتعززت ضرورة تبني حرب التحرير الشعبية طريقاً لمواجهة الخطر "الإسرائيلي"، والاعتماد على الذات عسكرياً وسياسياً. وبدأ ظهور المقاومة المدنية للاحتلال من خلال رفض إجراءاته القانونية والاقتصادية والسياسية، وعدم التعاون مع سلطاته، والاستجابة لمطالبها، إضافةً للتأييد الجماهيري للعمل الفدائي ومساعدته.

ورأت التنظيمات المسلحة أن المقاومة المدنية لا تكفي، ولا تتناسب مع نتائج الحرب، وأنه لا بد من العمل الفدائي لتجاوز اليأس الذي يسعى الاحتلال لفرضه على الفلسطينيين، وبالتالي، جاءت المقاومة إثباتاً لوجود الفلسطينيين، وعدم إمكانية شطبهم أو تجاهلهم، وزعزعةً لمعنويات قادة الاحتلال، وتغيير قناعاتهم، وتكبيد قواتهم خسائر بشرية ومادية.⁽²⁾

(2) الجبوسي، عبد الفتاح، فلسطين المحتلة 1985-1987 الصمود والتحدى، دار الكرمل للنشر، عمان، ط1، 1988، ص78.

د. عدنان أبو عامر

علماً بأن الهزيمة العربية في حرب عام 1967، كان لها أسوأ الأثر على نفسيات الفلسطينيين، الذين رفضوا هذا الجو من الإحباط، والرضوخ لهذا الواقع الأليم، ودفعتهم طبيعة ظروفهم، وضآلة مواردهم، وعزلتهم الكاملة، إلى البدء في مقاومة الاحتلال. وهناك عدد من العوامل التي ساعدت على انطلاق المقاومة، بشقيها، المدني والمسلح، ضد الاحتلال الإسرائيلي عقب حرب عام 1967، ومن أهمها:

- 1- الصحو الوطنية قبل الحرب، والرغبة بالحفاظ على الهوية الفلسطينية، ووجود مساحة من حرية الممارسة السياسية والتنظيمية في السنوات الأخيرة التي سبقت الاحتلال، لاسيما في الضفة الغربية التي خضعت للحكم الأردني، فيما حكمت الإدارة المصرية قطاع غزة.
- 2- تعمق حالة الإحباط لدى اللاجئين في مخيمات الأرض المحتلة، فبعد أن طال انتظار يوم العودة إذا بالاحتلال يتكرس، بجانب قربهم من مدنهم وقراهم التي طردوا منها.
- 3- شدة القمع الإسرائيلي الذي تعرض له أهالي الأراضي المحتلة أثناء الحرب، وبعدها مباشرة، وما دام القمع قد طال الجميع، فقد التقى الأهالي على غاية عادلة ووسيلة واحدة تدفعهم لاختيار الطريق الأفضل، وبذلك تعذر الفصل بينهم وبين الفدائيين، واستعدوا لإيوائهم قبل القيام بعملياتهم وبعدها، والتزموا بأوامرهم وتوجيهاتهم أيضاً.
- 4- تكاثف البيوت في المخيمات، واكتظاظها، وضيق الشوارع والأزقة، مما يصعب وصول قوات الجيش إلى وسطها، مع العلم أن المقاومة في بداياتها الأولى انتشرت خارج المخيمات، وما لبثت أن مورست جزئياً داخلها.
- 5- وجود كوادر عسكرية جيدة، تلقت تدريباتها في جيش التحرير الفلسطيني، ووجود كميات من الأسلحة والذخائر، بجانب التربية الوطنية والقومية التي تلقاها الطلبة في المدارس.
- 6- إسهام العامل الجغرافي في انطلاق العمل المقاوم، لاسيما في قطاع غزة، فقد سهل انفتاحه على البحر المتوسط وصحراء النقب من إمكانية إمداد المقاومة بالكوادر والسلاح والعتاد عن طريق البحر، أو عبر الصحراء، فضلاً عن استفادة المقاومة من عدم كفاية الترتيبات الأمنية للاحتلال، فوسعت مسرح عملياتها ضده.⁽³⁾
- 7- تمخض مؤتمر القمة العربية في الخرطوم عام 1967، عن ظهور اللاءات الثلاث: "لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف"، مما أدى إلى تحسّن نسبي في العلاقات العربية، ووفر

(3) مصطفى، وليد: الضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال الإسرائيلي، شؤون فلسطينية، العدد 162، أيلول 1986، ص 64.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

الحماية لقوات الثورة الفلسطينية الناشئة، وأقامت قواعدها في الدول المجاورة بتدريب الفدائيين، وإعدادهم عسكرياً ونفسياً، وزودتهم بالأسلحة والذخائر والمعدات.

8- جاءت معركة الكرامة في شهر آذار 1968، لتزيد من رباطة جأش الفدائيين، ودفعت باتجاه ضرورة المقاومة في الداخل ضد قوات الاحتلال، وفي الخارج ضد مصالحه على مستوى العالم، كالسفارات والطائرات.

• ثانياً - مراحل المقاومة:

بعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، كان من الطبيعي بروز مواقف فلسطينية مختلفة حول المقاومة المسلحة، جزء منها مؤيد لها ومدافع عنها، وآخر رأى ضرورة الابتعاد عنها خوفاً من ازدياد البطش "الإسرائيلي" بالسكان.

لكن طبيعة الوقائع الميدانية أثبتت أن مسيرة المقاومة انطلقت، وبدأ رجالها يبحثون عن الأسلحة والذخائر، وتعبئة أعضائهم ومناصريهم، وعن مصدر للدعم المادي والمعنوي من الداخل والخارج لضمان استمرارهم.

وبالرغم من عدم التكافؤ مع قوة الاحتلال، فقد بدأ الفدائيون عملهم على نطاق واسع وكثيف في سنوات 1967-1971، حتى أن جنود الاحتلال لم يعودوا يتمتعون بحرية الحركة في الأرض المحتلة ليلاً، لأنها تحت سيطرة الفدائيين، الذين جمعوا كميات كبيرة من السلاح، كالبنادق والقنابل والمتفجرات، وأصبحت مخيمات اللاجئين مراكز لنشاطهم.⁽⁴⁾

وقام الفدائيون بعمليات أخذت طابع "حرب العصابات"، وشملت مهاجمة "المخافر" المنعزلة، وقنص الجنود، وتدمير محطات الوقود، ونسف سيارات النقل العام، وزرع الألغام، وتدمير الجسور الصغيرة، وأنابيب المياه، وأعمدة الكهرباء والهاتف، وقطع خطوط السكك الحديدية، وقتل العملاء، ومنع العمال العرب من العمل في مزارع الاحتلال ومصانعه، ونصب الكمائن لسياراته، وإلقاء القنابل على دورياته الآلية والراجلة.

ومع تزايد العمليات الفدائية في الضفة والقطاع وعلى الحدود، لم يخف الاحتلال قلقه منها، حيث اعترف وزير الحرب "موشيه ديان 1915-1981" أن "المقاومة نجحت في كسب شهرة دولية كحركة تحرير وطنية ثورية تقاوم من أجل الحرية، وأن كره الفلسطينيين

(4) القشطيني، خالد، المقاومة المدنية في فلسطين، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق، ج5ص345.

د. عدنان أبو عامر

لـ"إسرائيل" يزداد، وبات همهم الأول التخلص من الاحتلال، وأن هؤلاء الفدائيين ليسوا مجرمين أو مأجورين أو أميين، بل يتحركون انطلاقاً من واقعية حقيقية وحماسة وطنية".⁽⁵⁾ وكتبت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية أنه لا ينقضي يوم دون حدوث عملية مسلحة، وأصبحت الضفة والقطاع قاعدة للفدائيين، الذين هاجموا تجمعات سكنية "إسرائيلية" مجاورة، وقتلوا العملاء، وقال أحد الضباط إن غزة أصبحت "مستودع أسلحة"، ويجب البحث في كل شبر بـ"البلدوزر" حتى يتم العثور عليها.⁽⁶⁾

وتميزت المقاومة داخل الوطن المحتل بحالة من المد والجزر وفقاً لظروف واعتبارات عديدة، تفاوتت بين مرحلة وأخرى، وشهدت هبات جماهيرية وانتفاضات شعبية واسعة متفاوتة الحجم والقوة، من أهمها:

- 1- أحداث عام 1967: وقعت بعد مرور أشهر على هزيمة حزيران، وخضوع بقية الأراضي الفلسطينية للاحتلال، وتحركت بشكل عفوي، ورفعت الروح المعنوية للفلسطينيين.
- 2- هبة 1974: بعد عام من حرب 1973، وغلب عليها الشعارات الموالية لمنظمة التحرير رفضاً للاحتلال، والوصاية التي حاولت فرضها بعض الأطراف الإقليمية.
- 3- احتجاجات 1976: بعد منح الاحتلال الحق لليهود بالصلاة في الحرم القدسي، مما أدى إلى إشعال موجة من الاحتجاجات، وتفجر المشاعر الدينية، وتعدّي المستوطنين على أئمة الحرم الإبراهيمي في الخليل، وتمزيق القرآن الكريم ودوسه بالأقدام، وسادت هتافات: "بالروح.. بالدم.. نفديك يا أقصى، الأقصى لنا، للأقصى شعب يحميه، الله أكبر".⁽⁷⁾
- 4- مظاهرات 1979: تعبيراً عن رفض اتفاقية "كامب ديفيد" بين مصر و"إسرائيل"، التي لم تحقق الحد الأدنى من حقوق الفلسطينيين، بل كرست ادعاءات الاحتلال، متبينة بالكامل خطة

(5) الجبوسي، مرجع سابق، ص80، و"ديان" جنرال صهيوني بارز، عين في مواقع عسكرية متعددة أبرزها قائد المنطقتين الجنوبية والشمالية، رئيس هيئة الأركان ووزير الحرب، وبعد نهاية خدمته تلقى تعليماً أكاديمياً في الجامعة العبرية، ثم عضواً للكنيست، وبرزت شخصيته خلال حرب 1967، مما جعله من واضعي السياسة الخارجية والأمنية للكيان إلى حين اندلاع حرب 1973.

(6) هآرتس، 1972/9/22.

(7) الأزعر، محمد خالد، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص124.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

"مناحيم بيغن 1913-1992"⁽⁸⁾، للحكم الذاتي، القائمة على أساس التفرقة بين السكان والأرض، واعتبار غزة والضفة أرضاً "محررة"، وجزءاً لا يتجزأ منها.

وفي الوقت الذي شهدت فيه عدد من البلاد العربية مظاهرات احتجاجية، فقد عمت الأراضي المحتلة مظاهر غاضبة تخللتها مواجهات ميدانية مع قوات الاحتلال.

5- ثورة 1982: الأكثر شمولاً وامتداداً منذ بداية الاحتلال، وبدأت أولى حلقاتها باعتداء نفذه جندي إسرائيلي على المسجد الأقصى صبيحة يوم 11 نيسان، بعد أن قتل حارس الحرم، وأطلق النار على المصلين بشكل عشوائي، فاندفعت الجماهير للدفاع عن حرمة المسجد من كل مكان، وعمت التظاهرات والإضرابات التجارية الأراضي المحتلة أسبوعاً متواصلاً، واعتصم طلاب الجامعة الإسلامية بغزة، وخرجت المسيرات الغاضبة، وتميزت المظاهرات برفع الرايات الخضراء المزينة بشعار التوحيد، مما دفع البعض لتسميتها "ثورة المساجد"، وبلغ عدد شهدائها 12 شهيداً، وعشرات الجرحى، ومئات المعتقلين.⁽⁹⁾

6- مرحلة الطعن بالسكاكين: برزت منذ أواسط سنة 1985 ظاهرة جديدة، ونفذها فلسطينيون ضد المستوطنين "الإسرائيليين"، ما دفع بـ"شموئيل غورين" منسق الأنشطة العسكرية في الأراضي المحتلة لينصحهم أن يحملوا أسلحة حين يمرّون في المناطق العربية.

7- أحداث 1986: اشتعلت بعد أسبوعين من التوتر الذي أعقب مقتل مستوطن في القدس المحتلة يوم 15 تشرين أول طعناً بالسكين؛ فكان استشهاد طالبين ينتميان للكتلة الإسلامية بجامعة بيرزيت يوم 4 كانون أول، وجاء إيذاناً بتصاعد انتفاضة الحجارة، فأعلن الإضراب والحداد في الضفة والقطاع ثلاثة أيام، وبلغت حصيلة الشهداء 21 فلسطينياً.⁽¹⁰⁾

وهكذا جاءت أهمية تلك الانتفاضات الشعبية من طبيعتها الخاصة برفض الاحتلال ومقاومته، واتسامها باتساع النطاق المكاني والامتداد الزمني، وشمولها كافة أنماط المقاومة

(8) زعيم الجناح اليميني الصهيوني، والقائد السابق لمنظمة "إيتسيل"، سادس رئيس وزراء صهيوني عام 1977، وترأس مباحثات كامب ديفيد مع المصريين، واتخذ قراراً بقصف المفاعل النووي العراقي عام 1981، واجتياح لبنان عام 1982 لضرب قواعد الفلسطينيين، قدم استقالته في ذروة عمله السياسي، مات نتيجة أزمة قلبية.

(9) السيد، مصطفى كامل، البدائل المتاحة أمام المقاومة الفلسطينية في الوقت الحاضر، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983، ص53.

(10) عبد الرحمن، أسعد، ونواف الزرو، الانتفاضة مقدمات وقائع آفاق، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1989، ص44.

د. عدنان أبو عامر

المدنية، كرفض الأوامر، ورفع المطالب، والاعتراض على إجراءات مصادرة الأراضي وأوامر الإبعاد، ورفع الأعلام والإضراب والتظاهر، وقليل من المقاومة العسكرية.

● ثالثاً - أسباب تصاعد المقاومة:

شهدت سنوات الستينات والسبعينات والثمانينات تطوراً في أساليب المقاومة المتلاحقة، وسجلت انتصارات مهمة على الصعيد الشعبي، ووثقت إنجازات مهمة مكنتها من تحديد أشكال النضال المناسبة، وفقاً للمعطيات والظروف الخاصة بكل مدينة وقرية ومخيم، وعلى مستوى الضفة والقطاع ككل، ونفادت السقوط في "وهم النجاح السريع والحلول السهلة".

وللوقوف على أسباب تصاعد المقاومة بعد حرب حزيران 1967، نشير إلى حقيقتين:

أ - ازدياد الحس الوطني لدى الجماهير، خاصة طلاب الجامعات، الذين قاموا بدور كبير في التعبير عن حقهم في التصدي لمؤامرات الاحتلال في طمس هويتهم.

ب - صعود التيار الإسلامي، وتبنيه فكر المقاومة، واقتناص أي فرصة للتصعيد مع الاحتلال، واستشهاد بعض طلابه في جامعتي بيرزيت بالضفة، والجامعة الإسلامية بغزة.

وضمن هذه الاستراتيجية، فقد توزع عبء المقاومة على قطاعات الشعب المختلفة، حيث شارك طلبة المدارس والجامعات في التظاهرات والمواجهات، ونظمت اعتصامات للمتقنين والمعلمين والعمال والنساء والجماهير عامة، وشكلت الخيار الأول للفلسطينيين بداية المرحلة، أما استراتيجية المواجهة المرتكزة على المقاومة المنظمة المسلحة والدفاعية، فأنت في وقت لاحق بعد نضوج ظروفها وتهيئتها.⁽¹¹⁾

كما واصلت المقاومة الشعبية مراكمة نجاحاتها الصغيرة وتجذرها، انسجاماً مع معرفتها الدقيقة بقوانينها، وسعت لتطوير فعلها المقاوم وتركيزه في عدة اتجاهات، فيما تواصل سياقها "الروتيني" الحافل باستخدام كافة وسائلها وأدواتها التقليدية.⁽¹²⁾

ومما ساعد في انتقال صدى المقاومة لكل حارة وشارع، ومخيم وقرية، اتساع نطاق فعاليتها، وانتقالها من مرحلة لأخرى، مما اقتضى أن تتصاعد حركة الجماهير الهادفة لتحقيق التحرير، وقدرة قواها الحية على تعبئتها بمفاهيم ثورية، واستخدام التكتيك والاستراتيجية، والعمل بشكل دعوب لزيادة فعالية الجماهير وعطائها، وإضعاف جبهة المحتل وتفكيكها.

● رابعاً - مهام المقاومة الشعبية:

(11) وايتلي، أندرو، المهمة الحالية للانتفاضة لإنهاء الاعتماد على الاحتلال، فايننشال تايمز، 1988/3/31.

(12) سوداح، سعاد، جسر الاحتلال وفيضان الانتفاضة، فلسطين الثورة، العدد 733، 1989/1/22، ص43.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

شملت المقاومة الشعبية النضال السياسي والاجتماعي، وتداخلت جميعها في التكتيك المرهلي والتخطيط الاستراتيجي بصورة متوازية، وساعدت على تقوية التنظيمات السياسية والعسكرية والجماهيرية، وأخذت أشكالاً متعددة أبرزها المظاهرات والاعتصامات والإضرابات، التي تقوي من تحدي الجماهير للمحتل.

وبالإمكان تلخيص أهم المهام التي أنيطت بالمقاومة الشعبية:

1- المهمات السياسية: وشملت نشاط جميع المنظمات الشعبية والجماهيرية، وتجسد التزامها بالمقاومة، من خلال:

- أ- تنظيم الأكثرية العظمى من قطاعاتها الشعبية، للوصول إلى تنظيم جماهيري شعبي واسع مرتبط عضوياً بالتنظيم السياسي، يعيها ويستقطب مزيداً من عناصرها للعمل المقاوم.
- ب- تحديد عدد كبير من المهمات المرتبطة بها، تستثمر مجهود كل فرد من قواعدها، وتدريب الكوادر السياسية الملتحقة بالمقاومة، خصوصاً في الظروف الطارئة الناجمة عن الأعمال العسكرية وشراسة المحتل، وتحمل أعباء العمل الوطني، وبناء الدولة بعد التحرير.
- ت- مساعدة التنظيم السياسي لمعرفة مشاكل الجماهير، واتخاذ الخطوات اللازمة لحلها، مما يدفعها لمزيد من العمل والعطاء.⁽¹³⁾

ث- توفير جو ملائم للعمل الدعائي وتحريض الجماهير، وتعويدها على نشاط عام جديد يزيد من طاقات الشعب، ويدخل ضمنه محاربة القيم البالية، وتوطيد قيم ومسلكتيات جديدة.

ج- كسب عناصر مهنية متخصصة تدعم العمل العسكري، وتنسب إليه، وتتطوع مرحلياً لتعمير المرافق المرتبطة بقواعد الارتكاز كالتحصينات والمواصلات والصيانة.

2- المهمات الاجتماعية: وتشمل جميع المنظمات الجماهيرية الشعبية الأساسية مع مراعاة التخصص والتنسيق، وأهمها:

أ- خلق أطر تنظيمية جماهيرية مغايرة للأطر التقليدية كالعشائرية وعلاقات الجوار، تساعد على تحرير الفرد من التقاليد البالية والمتعارضة مع متطلبات المقاومة، وتساعد على إيجاد المناخ الملائم لتطوير الفرد ذاتياً واجتماعياً.

ب- تطوير إمكانات الفرد الذهنية والثقافية للاشتراك بشكل فعلي وفعال في عمل المقاومة وتطويرها، يكون متمماً لأعمال المؤسسات التربوية كالمدارس والجامعات.⁽¹⁴⁾

(13) علوش، مرجع سابق، ص54.

(14) الثورة الشعبية في فلسطين، مرجع سابق، ص209.

د. عدنان أبو عامر

ت- تعويد الأفراد على تحمل المسؤولية، والتمرس على التخطيط وعقلنة التنفيذ، وحث الجماهير على التعاون لحل المشاكل الاجتماعية العائلية في ظروف المقاومة، وتخفيف الأعباء عن الأفراد ليستطيعوا المشاركة بشكل أفضل في الحياة العامة.

ث- تنظيم برامج وحلقات لتدريب الكوادر على جميع المستويات لرفع مستوى الوعي السياسي الاجتماعي، والكفاءة النقابية والارتقاء بالعمل الجماعي المنظم.

3- المهتمات الاقتصادية: المرتبطة بالمنظمات الاجتماعية المهنية والاقتصادية، وتشمل:

أ- معرفة مشاكل الجماهير المعيشية والسعي لحلها، بما يخدم المقاومة، ودعم أنشطتها مادياً عبر اشتراكات الأعضاء وتبرعاتهم، ورفع الإنتاج وترشيد الاستهلاك في الداخل.

ب- توجيه التدريب والتأهيل لخدمة عناصر تنظيمات المقاومة، ورفع كفاءتهم الإنتاجية خدمة للحرب الشعبية، وعملية البناء بعد التحرير.

ت- إنشاء التعاونيات الاستهلاكية والإنتاجية لزيادة المقدرة الاقتصادية للجماهير دعماً للمقاومة، وتخفيفاً عن كاهل الجماهير المعيشية، وتحقيق القدرة على الصمود.

ث- تنظيم حلقات البحث المهنية والمتخصصة لدراسة المشاكل الاقتصادية والتقنية التي تجابه المقاومة وجماهيرها، لوضع حلول آنية وبعيدة المدى.⁽¹⁵⁾

وأخذت المقاومة الشعبية أشكالاً شتى وأساليب مختلفة، زخرت بها سنوات هذه المرحلة التاريخية، لاسيما على الساحة الميدانية، وتحولت المناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى وعيد الميلاد المجيد، إلى أيام حداد وتضامن مع الأسر المنكوبة، واختلطت المناسبات العالمية بالمحلية كيوم العمال، ويوم التراث الشعبي، ويوم الطفل، ويوم للاحتجاج على إغلاق المدارس، والإضراب الشامل، للاحتجاج على أوامر الإبعاد، وذكرى إحراق المسجد الأقصى، وتكريم الشهداء، إلى أيام للمواجهات مع قوات الاحتلال.

وأكدت المقاومة الشعبية مجموعة من الحقائق حددت طبيعتها وهويتها بين عامي

1967-1987، أهمها:

- 1- عبرت عن مستوى من العمل المنظم أخضع كافة خطواتها وإجراءاتها لنسق موحد.
- 2- لم يتخذ العمل القيادي لها طابعاً معلناً، وعبثاً حاول الاحتلال إيجاد طرف يفاوضه أو يساومه، ولم تجد محاولات "تلميع" بعض الشخصيات لأن تمثل قيادة للمقاومة.

(15) سوداح، مرجع سابق، ص45.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

3- لم تحدد هذه المقاومة المعتمدة على الفعل الجماهيري المنسق والمنظم وسائلها فحسب، بل أساليب الاجتماعي والاقتصادي، في معركة طويلة الأمد تصيغ مجتمع المقاومة والثورة، منطلقه من الاعتماد الذاتي والعودة إلى الأرض، والتمسك بالإنتاج المحلي.

4- نجحت في إيجاد صيغة من التكامل الميداني والعمل مع نظيرتها المسلحة، واستجابات الواحدة للأخرى، بل وتناغمت في مقاومة المحتل.

5- أخذت على عاتقها تنظيم حياتها واقتصادها، على غرار الاقتصاد المستقل الذي اعتمده ثورات الشعوب لمناطقها المحررة، وحررت النشء من ثقافة الاحتلال.

وبينت جملة هذه الحقائق أن المقاومة الشعبية، إضافة لكونها نتاج عملية اجتماعية شاملة عميقة الجذور، فإنها بمهامها في تلك المرحلة، لاسيما بعد السنوات الأولى لاحتلال عام 1967، صاغت مجتمعاً بمقومات قتالية واقتصادية أساسها الاعتماد الذاتي، وتنظيم كافة شؤون الحياة التي طوعت كافة مرافقها ومناحيها لمقاومة المحتل.⁽¹⁶⁾

وأشارت النماذج اليومية للمقاومة الشعبية إلى جهد عالي التنظيم، بدءاً بإشغال المحتل، وتبديد قواه وتوزيعها، مروراً بالوقاية والحماية الأمنية، وتوزيع الأدوار في مواجهته لزيادة إرباكه وخوفه، وانتهاءً بتأمين وسائل العيش الجماعي بين الفلسطينيين، وتوفير احتياجاتهم داخل الحي الواحد، والمدينة الواحدة، والمخيم والقرية، حتى وصلت إلى تأهيل القوات الضاربة والسواعد الرامية، والتربية البدنية والذهنية، والإعداد التعبوي الذي يرفع الشعارات الموحدة، ويحدد المعارك المشتركة، ويصيغ أسس الجبهة الوطنية التي تستجيب لإرادة المقاومة الشعبية عبر لجانها الميدانية.

ومن الجدير تقديم استقراء سريع لتطور الحركة الجماهيرية والمقاومة الشعبية، للوصول إلى تقويم أبعاد هذه التغيرات الميدانية وتوجهاتها، ويمكن تقسيمها لعدة مراحل:

1- الفورة الميدانية التلقائية التي ميزت التظاهرات الشعبية في المدن والمخيمات، دون أن تتوقعها أجهزة أمن الاحتلال.

2- تحول المقاومة في بعض الأحيان إلى مؤسسة جماهيرية تقودها بعض القوى عبر إنشاء اللجان الشعبية، وما عقب ذلك من انتشارها وامتدادها للمناطق الريفية النائية.

(16) دان سيغر، هآرتس، 1988/5/2.

3- الهجوم "الإسرائيلي" المضاد والمتزامن مع رتابة الإضرابات التجارية، كحظر اللجان الشعبية، وإعادة بناء الشبكات السرية للعملاء بعد انهيارها.⁽¹⁷⁾

وهكذا جاء الموقف الإسرائيلي متناسباً بصورة عكسية، بحيث ازدادت وتيرة قمع وملاحقة الفلسطينيين، وانتهجت قوات الاحتلال أساليب العقوبات الجماعية، من باب "رفع كلفة الثمن"، التي تجبيها من قوى المقاومة، ومناصرها بين الجمهور الفلسطيني، على حد سواء.

● خامساً - أشكال وأساليب المقاومة الشعبية:

يمكن الحديث عن أهم أشكال وأساليب المقاومة الشعبية على النحو التالي:

● الشكل الأول - الالتحام الشعبي وحرب الشوارع:

على ضوء الوقائع اليومية للمقاومة، وارتباطاً بملاحمها الجديدة، وما حملته من تغيرات جذرية في أدوات الكفاح اليومي المشتقة من معاناة وآلام جماهيرها، ومن خلال المقاربة بين المفاهيم النظرية المجردة ومعطيات الحياة بألوانها المختلفة، جاءت النتيجة الأقرب للواقع تتمحور في نقطة ارتكاز واحدة، تحت عنوان الالتحام الشعبي وحرب الشوارع، فماذا عن ذلك في يوميات المقاومة خلال سنوات السبعينات والثمانينات؟

1- تنوعها في بناء الأجهزة الإدارية والتنظيمية، وارتباطها مباشرة بالهدف السياسي، فضلاً عن دور القيادة السياسية في توجيه الجماهير، نحو بناء الأجهزة والأطر واللجان.

2- اختلافها عن حرب الشوارع الكلاسيكية في عدم الاستخدام الشامل للأسلحة النارية.

3- حجم مشاركة الجماهير الشعبية، التي غدت مشاركتها رئيسة في المقاومة.

وعملياً، أنتجت المقاومة الشعبية حرب شوارع من طراز جديد، تقاثل فيها الجماهير العريضة بأبسط الأسلحة ضد جيش مدجج بالسلاح حتى أسنانه، وغدت مقاومة لا تنحصر في ميدان واحد من ميادين الحياة، بل منتشرة على امتداد الضفة والقطاع، ووصلت إلى كل مؤسسة ومصنع ومدرسة وجامعة ومؤسسة تعاونية.

ولعل ما ميز هذا الشكل من المقاومة الشعبية، تحمل الجماهير لمشاقتها وصعوباتها وآلام الحياة اليومية المتواصلة من الشهداء والجرحى والمعتقلين والمبغدين، وارتفاع نسبة الفقر في أوساطهم، لاسيما داخل الطبقة العاملة والكادحين.

(17) تماري، سليم، مخاطر الرتابة.. العصيان المحدود والمجتمع المدني، الدراسات الفلسطينية، العدد 3، صيف 1990، ص 15.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

وفي الوقت الذي لم تعتمد المقاومة في سنواتها الأولى على الأسلحة التقليدية، فقد لجأت إلى سلاح جديد تمثل في التحام شعبي لا مثيل له برفض الاحتلال، بكل الوسائل الممكنة للتعبير عن الرفض والغضب، وهي الوسائل والأدوات التي يمكن وصفها باللاعنفية في معظم الحالات، والعنفية في القليل منها.

وكان من أصعب المعادلات في مسيرة المقاومة في تلك المرحلة التاريخية احتفاظها بوحدتها، وتحقيق خطواتها التصعيدية في المجابهة والعصيان المدني، دون التحول إلى مقاومة مسلحة، ولم يكن عدم اللجوء للسلاح في بداية الأمر خوفاً أو جبناً، بل توجهاً منسجماً مع نهجها وأهدافها، وشكلت هذه المسلكية علامة فارقة، وهي من أصعب العلامات التي أثبتت مدى الوعي الجماهيري، والتطور الجديد في وسائل المقاومة.⁽¹⁸⁾

وأخذت حرب الشوارع والالتحام الشعبي عدداً من الأشكال المعبرة، تمثلت بـ:

- 1- الاشتباكات المستمرة بين قوات الاحتلال والجماهير في المدن والقرى والمخيمات، ولم تكن عفوية غير منظمة وغير هادفة، على العكس، فغالبية الصدمات والمواجهات تسلحت بأسلحتها البدائية، في مخيمات جباليا وبلاطة والدهيشة والنصيرات.
- 2- انفراد قوات الاحتلال ببعض الشوارع والأحياء، وشن الهجوم عليها، وتكرار حالات الانفراد لأزقة المخيمات عبر رشقها بالحجارة، متزامناً مع خروج القوات الضاربة المتمركزة على أسطح المنازل، وما حمله من التكامل والتعاون بين المواقع الجغرافية المختلفة، في عمليات المواجهة للدعم والتخفيف عن المنطقة المحاصرة.⁽¹⁹⁾
- 3- استخدام عنصر المفاجأة في مواجهة قوات الاحتلال، وقد أثبتت تقاريرها الميدانية أنه ما أن يطمئن أفرادها لهدوء منطقة ما، حتى تملأ سحبه الدخان سماءها، وتبدأ الحجارة والزجاجات الحارقة بالسقوط بشكل مكثف عليها، وينقسم الشبان إلى مجموعات صغيرة لا يتعدى عدد أفرادها ثلاثة شبان، ويتم تقسيم المنطقة لعدة أقسام تسيطر على كل قسم فيها 4 وحدات منظمة، بطريقة المقدمة والمؤخرة والجناحين الأيمن والأيسر.
- 4- إرهاب الاحتلال في عمليات المطاردة، من شارع لشارع، ومن بناية لأخرى، بحيث لا تشعر قواته بأي استقرار وراحة، وأمكن مشاهدة عشرات النماذج يومياً، عبر تحطيم حافلات المستوطنين، ووضع المتاريس في الشوارع الرئيسية، والاشتباك الدائم مع الجنود، وحمل هذا

(18) المرجع السابق، ص 19.

(19) الثورة الشعبية في فلسطين، مرجع سابق، ص 209.

النموذج في طياته أكثر من معنى ومدلول، حيث ضرب الاحتلال في أكثر من موقع، ومن حيث لا يدري، ولا يتوقع، مما يعني تشتيت قواته، ووضعها في حالة توتر دائم، وولد الرعب في نفوس جنوده وضباطه ومستوطنيه على حد سواء.⁽²⁰⁾

5- المرونة العالية في التكتيك وتغيير أساليب المواجهة بشكل مستمر، بهدف شل القوة العسكرية للاحتلال، لأن موازين القوى إذا تمت مقارنتها بين الجانبين فستميل حتماً لصالحه بلا منازع، لكن الوضع الملموس خلال تلك المرحلة التاريخية لم يكن كذلك، حيث نجحت حرب الشوارع ومواجهات الالتحام الشعبي من خلال تكتيكاتها المرنة، والتغيير الدائم في أشكالها في تعطيل هذه القوة إلى حد كبير، ووضعها في حالة عجز دائمة.

6- اعتمادها على أجهزة العمل العنفي، أي لجان المقاومة الشعبية المنتشرة في أنحاء الأراضي المحتلة، التي تحولت تدريجياً إلى "جيش شعبي" بكل ما للكلمة من معنى، ومن نماذج التحول، العروض الميدانية في الضفة والقطاع، بمشاركة مئات الملتحقين بالكوفية، رافعي الأعلام، ولافتات بالعربية والإنجليزية، ومستخدمين مكبرات الصوت اليدوية، ويطوفون وسط البلدة، ويوماً بعد يوم أخذت تتبلور هوية الجيش الشعبي، الذي لم ينحصر في مدينة معينة أو مخيم وقرية، بل بات موجوداً في كل المناطق.⁽²¹⁾

وهنا برز حرص قيادة المقاومة في تلك المرحلة، بواسطة الأطر التنظيمية لقوى المقاومة وشبكة المؤسسات والهيئات والمنظمات الجماهيرية والنقابية والمهنية والأكاديمية في الأراضي المحتلة، أن تضمن لكل مواطن حقه بالمشاركة فيها.

ولذلك كانت هيكلياً بنائها فضفاضة في تعددية فعاليتها، وأعطت حيزاً واسعاً لمبادرة الفرد والمجموعة، دون أن تؤثر على حديدية الانضباط في قبول المسؤولية، وتحمل نتائج تنفيذها، مما ساعد على خلق إطارات صحيحة أمكنها تعميم المقاومة بشكل سريع ومتواصل، وأضفى عليها صفات القوة والقدرة على الاستمرارية، وأكسبها ملامح الاتساع والشمولية.

● الشكل الثاني - التظاهرات الشعبية:

شهدت المراحل الأولى من الستينات والسبعينات نمطاً معيناً من المقاومة الشعبية، تمثل بالمظاهرات الجماعية، والمهرجانات الحاشدة، وسارت أكبر المسيرات في تشييع الشهداء، وكثيراً

(20) يديعوت أحرونوت، 1986/12/2.

(21) الشنار، حازم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الانتفاضة، الجمعية الفلسطينية للشؤون الدولية، القدس، 1989، ص38.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

ما تراكمت معها الهتافات المدوية ورفع الأعلام، لتعبر الإرادة الشعبية عن نفسها بأبسط الوسائل، وتتنوع أسباب التظاهرات من القضايا الوطنية العامة، لتلك الأكثر خصوصية، بلدياً وفئوياً، ولم يمر أسبوع واحد دون وقوعها، على النحو التالي:

- أ- فالتظاهرات تتدلع في منطقة ما تحدياً لمنع التجوال،
- ب- أو احتجاجاً وغضباً لاستشهاد أحد أبنائها،
- ت- ويتظاهر الطلاب رفضاً للسياسة التعسفية بإقفال معاهدهم التعليمية وجامعاتهم،
- ث- والنساء يتظاهرن لإطلاق سراح أبنائهن،
- ج- والأطفال يتظاهرون وهم يحملون أعلام فلسطين، ويلفون أعناقهم بالكوفيات،
- ح- والفرق الضاربة يسير شبابها متلفعين بألوان العلم.

ولم يمر حدث تاريخي أو ديني، ولا ذكرى وطنية أو قومية، ولا مناسبة نضالية أو محلية، إلا أحييتها المقاومة عبر التظاهر وتوعية الجماهير، ومن أهمها: ثورات القسام، البراق، القسطل، مجازر كفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، ومن أهم المناسبات التي شهدت تصعيداً في المواجهات مع الاحتلال:

- أ- 30/ آذار، إحياء الفلسطينيين لذكرى يوم الأرض.
- ب- 1/ كانون ثاني ذكرى انطلاقة حركة فتح.
- ج- 15/ أيار إحياء "الإسرائيليين" لإقامة دولتهم.
- ح- 5/ حزيران ذكرى حرب 1967.
- خ- 6/ تشرين أول، احتفال اليهود بـ"يوم الغفران".

ثم انتقلت التظاهرات الجماعية إلى مرحلة أكثر دقة واختياراً، وتم استبدالها بمجموعات من الشباب والفتية، المتميزين بلياقتهم البدنية وجراتهم النوعية، وخبرتهم في الكر والفر ونصب الكمائن، وتوزعت هذه المجموعات بعد انتهاء التظاهرة لاصطياد الدوريات العسكرية، الراجلة والمحمولة، في الأسواق وعلى مداخل المخيمات وأطراف الحارات.⁽²²⁾

واقترنت المظاهرات الشعبية بالهجوم والإعداد للاشتباك الشعبي مع قوات الاحتلال ودورياته العسكرية، لاسيما بعد خروج التلاميذ من مدارسهم، حيث تتزايد الإطارات المشتعلة على قارعة الطريق، وتهرع سيارات الاحتلال ومركباته لتلقي بحمولاتها من الجنود الموزعين على محاور المخيمات والأحياء السكنية في المدن، بحيث لا يأتي المساء إلا وتحولت شوارعها

(22) الناطور، سهيل، الشروط الذاتية لنجاح العصيان الشامل، السفير اللبنانية، 1988/6/11.

د. عدنان أبو عامر

وأزقتها إلى ساحات حرب حقيقية، وكمانن للتصيد بين الجنود المدججين بأسلحتهم وهراواتهم، والشباب الممثلة أيديهم بحجارة متوسطة الحجم. واتخذ الاحتلال إجراءات متنوعة لقمع التظاهرات، من الضرب الجسدي المبرح، إلى إطلاق الرصاص بأنواعه المطاطي والبلاستيكي والحي، وقنابل الغاز المسيلة للدموع، إلى اعتقال العشرات، وكثيراً ما تحولت التظاهرات إلى اشتباكات مع الجنود والمستوطنين.

• الشكل الثالث - الإضرابات التجارية والعصيان المدني:

برزت الإضرابات كأهم مظاهر المقاومة الشعبية، حداداً على الشهداء كرد فعل عفوي في منطقة الشهيد والمناطق المجاورة، وحددت البيانات تاريخ الإضراب ومناسبته وسببه. ومنذ أواخر الستينات وأوائل السبعينات، ارتفع الإضراب، ليصبح سلاح التحدي الأول، وبات من هموم سلطات الاحتلال فتح المحلات التجارية بالقوة، وإقفالها في ساعات العمل التي تحددها المقاومة، حيث مورس الإضراب على عدة أصعدة:

- 1- الإضراب الشامل وهو الأبرز، ويستمر ليوم أو لأيام متتاليات.
 - 2- الإضراب الجزئي الذي يبدأ بعد منتصف النهار حيث تغلق الأسواق، ويسمح بفتح المحلات التجارية لأوقات محددة، غالباً ما تكون ثلاث أو أربع ساعات يومياً.
 - 3- فيما يعم الإضراب منطقة ما، تفتح المحلات بمنطقة أخرى لتسهيل حياة السكان، حيث نظمت المقاومة ساعات الدوام والإغلاق في القرى بما يتناسب مع خصوصياتها.
 - 4- هناك إضراب المواصلات وإضرابات العمال والإضراب التعليمي.
- ونقن الاحتلال في إجبار أصحاب المحلات التجارية على فتحها، وكثيراً ما كانت تنتهي المحاولات باشتباكات واعتقالات، وفي العديد من الليالي حطم الجنود أقفال العشرات منها، وعمدوا لربط أبوابها بسيارات الجيب العسكرية، ثم خلعها.
- ورفعت المقاومة شعار "الانكفاء الذاتي"، لتعبر عن مرحلة تاريخية شهدت ثورة شعب مقتل ومفني، وقامت بخطوات تصعيدية نحو العصيان الشامل، أهمها:
- 1- توقف العمال عن العمل في المشاريع "الإسرائيلية"، ما يعني انقطاع مائة ألف عامل عن موارد رزقهم، وألقى على عاتق المقاومة، رعايتهم ودعمهم مادياً، وتوفير فرص عمل لهم.
 - 2- ترشيد الاقتصاد والزراعة، ومضاعفة الإنتاج البيتي، وتحويل كل أرض يمكن زراعتها، لزراعة الخضروات وتربية الدواجن، وتحولت البيوت إلى مراكز الخياطة والنسيج.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

3- تشجيع المؤسسات الإنتاجية الوطنية بكامل طاقتها على مقاطعة بضائع الاحتلال، ودعوة التجار والمستهلكين في الضفة والقطاع لعدم التعامل مع ما له بدائل من إنتاجهم، حيث استعمل السكان منتجاتهم المحلية بدلاً من المنتجات "الإسرائيلية" التي راجت كثيراً بينهم.

ويمكن التطرق إلى العوامل المحفزة للجوء الفلسطينيين إلى العصيان المدني، أهمها:

- 1- انتشار الإضرابات الشاملة، واستمرارها فترة طويلة، إضافة للتظاهرات الحاشدة.
- 2- تعميم مقاطعة المصانع والمزارع والمستوطنات، وأثره على اقتصاد المحتل.⁽²³⁾
- 3- محاولة إيقاف الاستيراد والتصدير من وإلى الكيان، بما تسمح به الظروف الوطنية، والسعي لشق طريق الاستقلال النسبي في العلاقة التبادلية الاقتصادية مع الدول الأوروبية، والمقاطعة الجزئية للبضائع "الإسرائيلية" عموماً.
- 4- ازدياد وتيرة الدعوة للعودة إلى الأرض، وتطوير الاقتصاد البيئي، و"حاكورة" المنزل، "الحقل"، والآثار الإيجابية التي حققها النضال الوطني على الأصعدة المختلفة.
- 5- البلورة النسبية لهيئة قيادية وطنية داخل الأراضي المحتلة، توجه وتقود المقاومة الوطنية، والبدء بتشكيل اللجان الشعبية والقوات الضاربة.

واستندت المقاومة في عصيانها المدني على خطوات أساسية:

- 1- اعتماد أسلوب التدرج البطيء لإنجاز خطوة ما على طريق المقاومة، على مدى زمني طويل نسبياً، كالدعوة لاستقالة أعضاء المجالس البلدية والقروية، وحث الجماهير على اللجوء لتطبيق مفهوم "الاقتصاد البيئي" في سد الاحتياجات الرئيسية.
- 2- تبني المبادرات الذاتية الصادرة عن الجماهير، باعتبار اندفاعها نحو خطوة ما مؤشراً على نضج الظروف العامة للإقدام عليها، كدعوة أصحاب العقارات لإعفاء السكان من إيجاراتها لفترة معينة، أو تخفيض قيمتها بنسب معقولة.
- 3- تسليم الهويات والبطاقات الشخصية الصادرة عن الاحتلال وتمزيقها، للإعلان عن الرفض الرسمي لهيكله وأدواته المختلفة، لتمثل المرحلة العليا في العصيان الشامل.
- 4- تنامي الخطوات المنجزة باتجاه ترسيخ الصراع حول تدمير هياكل سلطة الاحتلال المتمثلة بالإدارة المدنية، وإنشاء الهياكل الإدارية القادرة على تسيير كافة مناحي الحياة. وقد تباينت آراء الفلسطينيين بشأن العصيان الشامل، وبرز تياران:

(23) الأشهب، نعيم، العصيان الوطني الشامل بين الطموح والإمكانات، صوت الوطن، العدد 3، تشرين الثاني، 1989، ص4.

التيار الأول: رأى أن هناك محاذير واضحة من إعلان العصيان المدني الشامل في وجه الاحتلال لعدد من الأسباب الموضوعية والذاتية على حد سواء، ومنها:

1- الحاجة لمستلزمات دعم خارجي، مما تحتم على قيادة المقاومة العمل على توفيره مبكراً، وطرق كافة السبل الممكنة لإيصاله.

2- الحاجة لأجهزة بديلة عن أجهزة الاحتلال للعب الدور المفصلي في توجيه حركة العصيان، تكون مسئولة عن ضبط وتنظيم وقيادة النشاطات المناطقية والموقعية.

3- مدى قدرة قوى المقاومة على توفير مقومات الحياة الأساسية التي يصعب بدونها الحديث عن عصيان متواصل وطويل وشامل، فالخبز والمياه والأدوية، متطلبات أساسية لكل مواطن، وتوفيرها مقياس لعنفوانها ومواجهتها للاحتلال، وتكمن أهمية هذا الشرط فيما تعنيه خصوصية الاقتصاد الوطني، وارتباطه واعتماده إلى حد كبير على اقتصاد الاحتلال.⁽²⁴⁾

التيار الثاني: طالب بالعصيان العاجل، ليبدأ بمقاطعة عمال الأرض المحتلة، البالغ عددهم 130 ألف عامل، عن العمل في المؤسسات الاقتصادية داخل دولة الاحتلال عامة، والمستوطنات خاصة، اعتماداً على الحس المقاوم العالي لجماهير المقاومة.

• المقاومة المسلحة والعمل الفدائي

أولاً- أسباب المقاومة المسلحة:

قوبل احتلال الضفة والقطاع منتصف عام 1967، بمقاومة مسلحة تميزت بالشدة، وبارتفاع كبير في معدلات العمليات الفدائية، وعاد ذلك إلى عدة أسباب:

- 1- حجم القمع الذي تعرض له الفلسطينيون مبكراً.
 - 2- تفشي البطالة بينهم، بعد أن سرح الاحتلال زهاء خمسة آلاف موظف، وأحرق مراكب الصيادين ليحرمهم من مصادر رزقهم.
 - 3- التأثير الملموس لجيش التحرير الفلسطيني المتواجد في قطاع غزة، حتى لحظة وقوع الاحتلال، وبقاء بعض أفراد في القطاع إلى ما بعد الاحتلال.
 - 4- الخبرة الوطنية المخزونة لدى الفلسطينيين منذ مواجهة القوات "الإسرائيلية" مع بدايات إنشاء دولة الاحتلال، مروراً بسنوات الخمسينات، والأعمال الفدائية التي نفذت حينها.⁽²⁵⁾
- وقد توازنت الانتفاضات بعد حرب حزيران 1967 مع العمليات المسلحة، وتولدت بسبب:

(24) مركز الدراسات الفلسطينية، الانتفاضة الشعبية مقدماتها، إنجازاتها، ندوة، دمشق، ط1، 1988.

(25) فلسطين الثورة، 1988/7/26، ص24.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

1- التزام مع الرفض الفلسطيني لخطط تحسين فرص الحياة في الأراضي المحتلة، وجاء الرفض لأهدافها السياسية: القريبة والبعيدة.

2- خلقت هذه الانتفاضات وقائع ميدانية وسياسية استقطبت الاهتمام السياسي والإعلامي، ووجهت الأنظار نحو الأرض المحتلة.

3- أدت الظروف السيئة التي مرت بها منظمة التحرير عامي 1983-1984، والانشقاق الذي عصف بحركة فتح، إلى تفاقم الضغوط "الإسرائيلية" لاغتنام الفرصة وتمريض المؤامرات السياسية المرفوضة سابقاً، وعلى رأسها "روابط القرى"⁽²⁶⁾، التي استهدفها المنفضون.

وأظهرت إحصائيات جيش الاحتلال لعامي 1985-1986 عن ارتفاع ملحوظ في العمليات الفدائية المسلحة، بمعدل أكثر من عملية يومياً.

وسجلت الفترة بين 1/نيسان/1985-1/نيسان/1986 ارتفاعاً من 347 إلى 569 عملية، بزيادة قدرها 52%، وأشارت إلى ظاهرة جديدة نسبياً تمثلت بقتل الجنود المتجولين بمفردهم، وارتفعت محاولات قتلهم من عملية واحدة فقط بين عامي 1984-1985 إلى 23 عملية عامي 1985-1986.⁽²⁷⁾

ونفذ المقاومون أخطر عملية عسكرية في القدس بتاريخ 15 تشرين أول 1986 هجوماً بالقنابل اليدوية على حشد من جنود الاحتلال قرب حائط البراق، أسفر عن سقوط أكثر من 80 منهم، بين قتيل وجريح، مما دفع بـ"تيدي كوليك" رئيس بلدية المدينة المحتلة للقول: "إنها كارثة، أمر مروع، فقد نعمنا بفترة هدوء طويلة في القدس، لكن ذلك لم يدم".⁽²⁸⁾

وفي بحث لإدارة الحكم العسكري، تبين أنه خلال سنة 1987 طرأت زيادة بنسبة 100% في معظم عمليات المقاومة مقارنة بسنة 1986، وازدادت المظاهرات بنسبة 133%، وارتفعت حوادث إحراق إطارات السيارات في الشوارع بنسبة 178%، من 172 حادثاً سنة

26) فكرة "أرينيل شارون" عندما كان وزيراً للحرب في حكومة "بيغن" عام 1981، وجاءت تحت مسمى تنمية الريف الفلسطيني في الضفة الغربية، تمهيداً لمنح حكم ذاتي للفلسطينيين وفق اتفاقية "كامب ديفيد".

27) النشاش، عبد الهادي، الانتفاضة الكبرى وأثرها على الكيان الصهيوني، دار الينابيع للنشر، دمشق، ط1، 1994، ص90.

28) حرب، أسامة، الإستراتيجية الإسرائيلية والمقاومة في الأرض المحتلة، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، 1977، ص141.

د. عدنان أبو عامر

1986 إلى 478 سنة 1987، وزادت حوادث رشق الحجارة بنسبة 140%، وطرأت زيادة على وضع المتاريس على الطرق بنسبة 68% سنة 1987 بالنسبة للسنة التي سبقتها.⁽²⁹⁾ وجرت محاولات عديدة لتنفيذ عمليات فدائية ضد أهداف عسكرية خارج الأراضي المحتلة، أهمها عملية الطائرة الشراعية التي نفذتها الجبهة الشعبية - القيادة العامة ليلة 25 تشرين ثاني 1987، حين هبطت طائرة قادمة من الأراضي اللبنانية قرب معسكر "جيبور" العسكري، وتمكن قائدها من قتل تسعة جنود إسرائيليين، وجرح ثمانية، قبل استشهاده.

وأكد الكاتب الإسرائيلي "عوزي محنايمي" أن "النجاح الفلسطيني الكبير في "الجيل" رفع معنويات سكان المناطق، وزاد من ثقتهم بأنفسهم، فإذا كان بإمكان شخص مسلح دخول قاعدة للجيش، فسيقولون: نحن أيضاً سننجح في طرده من مخيمي بلاطة وغزة!"⁽³⁰⁾

وأكدت العملية جدارة الكفاح المسلح كأسلوب حاسم ضد المحتل، كونها ذات مستوى عال من الجاهزية القتالية، تخطيطاً وإعداداً وتنفيذاً، وأشاعت نهوضاً عارماً في أوساط الشعب الفلسطيني، وأسهمت في تعزيز ثقته بمنظوماته، مما انعكس إيجابياً على تطور المقاومة لاحقاً، فضلاً عن الدور الذي لعبته في اهتزاز هيبة المؤسسة العسكرية "الإسرائيلية"، ونظرية أمنها.

ودفعت هزيمة عام 1967 بالمقاومة لأن تنهض، وتعمل بفاعلية داخل الأرض المحتلة، ضمن اتجاه ثوري شعبي مكنها من استقطاب الجماهير، وتنفيذ العمليات العسكرية، وجعلت الاحتلال أمام مقاومة ضارية.

وأعلن رئيس هيئة الأركان "موشيه ديان" "أن قواته تحكم الضفة والقطاع نهراً، فيما يحكمها الفدائيون ليلاً! وأن الوزن الأساسي للمقاومة لا يكمن في عملياتها فقط، بل في نجاحها في اكتساب أبعاد دولية كحركة وطنية تقاوم لأجل الحرية."⁽³¹⁾

وخلال السبعينيات والثمانينيات تطورت المقاومة نوعياً، واستخدمت مختلف الأدوات الميدانية لاسيما التفجير باللاسلكي، والعبوات التفجيرية، وتزايد إحراق المناطق الحرجية.

ثانياً - مراحل المقاومة المسلحة: يمكن تجزئة المقاومة المسلحة إلى مراحل، اختلفت تضاريسها، وتنوعت مناخات عملها، على النحو التالي:

(29) شيف، زئيف، ويعاري، إيهود، انتفاضة، دار شوكن، القدس، ط1، 1990، ص22، باللغة العبرية.

(30) أفينر، أوري، انتفاضة، مكتبة بيت إيل، بيت إيل، ط1، 1990، ص23.

(31) ياسين، عبد القادر، الحركة السياسية في قطاع غزة 1948-1987، مجلة صامد، العدد 23، تموز 1988، ص37.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

- 1- **مرحلة 1970-1967:** وتسمى "الطوق الكامل"، حيث استخدم العمل الفدائي الحدود العربية مع دولة الاحتلال، وارتفعت المقاومة خلالها نوعاً وكماً على النحو التالي: 12 عملية عام 1967، 52 عملية عام 1968، 199 عملية عام 1969، 279 عملية عام 1970. وشارك في المقاومة ثلاثون منظمة فدائية ذات أيديولوجيات متعددة، وسجلت معركة الكرامة بتاريخ 21 آذار 1968 إنجازاً مادياً ومعنوياً، حيث قتلت 70 "إسرائيلياً"، وجرحت أكثر من 100 آخرين، فيما استشهد نحو مائة فدائي، واندفع بعدها عشرات الآلاف للتطوع.
- 2- **مرحلة 1971-1982:** وتسمى "الطوق المنقوص"، وعملت أساساً من خلال الحدود اللبنانية، بعد أن خسرت قدرتها على العمل من خلال الحدود الأردنية والمصرية، لاسيما بعد أحداث أيلول في الأردن عام 1970.
- 3- **مرحلة 1983-1987:** وتسمى "الطوق المفقود"، بعد إخراج المقاومة من لبنان.⁽³²⁾ ومن أبرز ما نفذته المقاومة خلال المرحلة التاريخية بين عامي 1967-1987:⁽³³⁾
 - 1- ظاهرة خطف الطائرات الإسرائيلية التي اشتهرت بها الجبهة الشعبية، خصوصاً في سنوات السبعينات، وأثارت دويّاً عالمياً واسعاً، ومن أهمها قيام أفرادها بالهجوم على مطار اللد يوم 30 أيار 1972، مما أدى لمقتل 31 إسرائيلياً، وجرح 80 آخرين.
 - 2- نفذت منظمة "أيلول الأسود" عملية "ميونيخ" الشهيرة في ألمانيا بتاريخ 5/أيلول/1972، واستهدفت الوفد الرياضي الإسرائيلي المشارك في الألعاب الأولمبية، وتمكنت من قتل 11 منهم.
 - 3- نفذت الجبهة الشعبية- القيادة العامة عملية الخالصة شمال فلسطين المحتلة في 11 نيسان 1974، مما أدى لمقتل 18 إسرائيلياً، وجرح 15 آخرين.
 - 4- نفذت الجبهة الديمقراطية عملية "ترشبحا" في 15 أيار 1974، وأسفرت عن مقتل 27 إسرائيلياً، وجرح العشرات.
 - 5- عملية سافوي النوعية التي قامت بها حركة فتح في تل أبيب بتاريخ 6 آذار 1975، وأدت إلى مقتل وجرح مائة إسرائيلي.
 - 6- نفذت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين عملية "بيسان طبريا"، بتاريخ 4/آب/1977، وأسفرت عن سقوط عدد من الإصابات في صفوف الإسرائيليين.

(32) صايغ، يزيد، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 2002، ص674.

(33) صالح، محسن، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط1، 2003، ص254.

د. عدنان أبو عامر

7- نفذت الفدائية دلال المغربي بتاريخ 11/آذار/1978، عملية "كمال عدوان"، وأسفرت عن 37 قتيلاً، و82 جريحاً إسرائيلياً.

8- نفذ تنظيم "أسرة الجهاد" في الأرض المحتلة عام 1948، عملية باب المغاربة في 16 تشرين أول 1986 التي أوقعت ثمانين إصابة في جنود الاحتلال.⁽³⁴⁾

وامتازت تلك المنظمات، خلال المرحلة التي تلت حرب عام 1967، مع بعض التفاوت، بـ"الحرفية العسكرية"، وأخذ طابع القوات الخاصة، على اعتبار أن النشاط الفدائي أداة أكثر من كونه إستراتيجية، واشتهرت بحفر الأنفاق وإقامة التحصينات للانطلاق منها لتنفيذ عملياتها العسكرية، معتمدة على التدريب الجيد والإعداد المناسب، كما أقامت التحصينات عبر الجبال على الحدود العربية مع دولة الاحتلال.

وفي فترة لاحقة عرفت المقاومة مرحلة "الاستنزاف" من قبل الاحتلال الإسرائيلي بين عامي 1978-1982، حيث شنت قواته هجمات جوية وبرية وبحرية ضد مواقع الفدائيين داخل الأراضي اللبنانية، لتقويض قواعدهم، ووضعها في حالة دفاع مستمر.

وقام الاحتلال بشن 230 غارة جوية وقصف مدفعي عام 1979، و360 غارة عام 1980، واستمر بقصفه في النصف الأول من عام 1981، حيث تصدى الفدائيون للهجمات التي بلغ عددها حتى نيسان 1981 أحد عشر اقتحاماً، سقط فيها 110 من الفدائيين، كان أكبرها العملية البرية في آب 1981، تصدى فيها 142 مقاتلاً تمركزوا في "قلعة شقيب" وما حولها من قرى "أرنون، كفر تيننت، حرش النبي صالح"، وحدث الاشتباك من بيت إلى بيت، بينما التفت إحدى الكتيبات على القلعة، ومع وصول النجادات الراجلة والمحمولة عبر الطرق الخلفية والتلال، بدأت القوات بالانسحاب بعد ثلاث ساعات من الهجوم مخلفة 5 شهداء.⁽³⁵⁾

وقد اتبع الاحتلال صيف 1981 استراتيجية جديدة، تمثلت في قصف جوي عنيف ومتواصل، مما استدعى رد المدفعية الفلسطينية على شمال فلسطين المحتلة، ووسع الفدائيون قصفهم مع استمرار الغارات الجوية لتصل 42 مستوطنة ومدينة ومعسكر في "إسرائيل".

وسقط في هذا القصف الذي انتهى بوقف إطلاق النار بوساطة عربية وأمريكية 2567 فدائياً بين شهيد وجريح، بعد أن أوجد قناعة لدى الاحتلال بأن القصف العنيف والاقتحامات

(34) دأبت قوى المقاومة على إصدار البيانات العسكرية التي تشير إلى عملياتها الفدائية، ولجأ الاحتلال للتقليل من خسائرها في صفوفه.

(35) أبو زائدة، حاتم، الكفاح الفلسطيني المسلح: حصاد في ظل الحصار، مركز أبحاث المستقبل، غزة، ط1، 2006، ص60.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

المتكررة واستهداف المدفعية لن تجدي نفعاً أمام عمل المقاومة عبر القواعد المنتشرة في لبنان، مما استدعاه ليفكر بشكل جذري من أجل تصفية هذا التواجد نهائياً.⁽³⁶⁾

ثالثاً - إحصائيات وأرقام:

يمكن الحديث بلغة الأرقام، عن تطور المقاومة داخل الأرض المحتلة وخارجها، بين عامي 1972-1981، حيث بلغت 4432 عملية، موزعة زمنياً ومكانياً على النحو التالي:
أ- في عام 1972 بلغ عدد العمليات الفدائية 291 عملية، موزعة جغرافياً على عدد من المناطق المحيطة بفلسطين، فقد شهدت الحدود اللبنانية انطلاق 30 عملية، والحدود السورية 122، والأردنية 8، وقطاع غزة والحدود المصرية 71، والضفة الغربية 22، وداخل فلسطين المحتلة 18، فيما استهدفت مواقع خارج "إسرائيل" بـ20 عملية.

ب- شهد عام 1973 تنفيذ 752 عملية، شهدت الحدود اللبنانية منها انطلاق 33 عملية، والحدود السورية 106، والأردنية 3، وقطاع غزة والحدود المصرية 498، والضفة الغربية 40، وداخل فلسطين المحتلة 28، فيما استهدفت مواقع في الخارج بـ34 عملية.

ت- شهد عام 1974 تصعيداً ملحوظاً في تنفيذ العمليات الفدائية، حيث وصل عددها 1641 عملية فدائية موزعة على النحو التالي: شهدت الحدود اللبنانية انطلاق 109 عملية، والحدود السورية 1122، والأردنية 7، وقطاع غزة والحدود المصرية 296، والضفة الغربية 52، وداخل فلسطين المحتلة 51، وفي الخارج 4 عمليات.⁽³⁷⁾

ث- شهد عام 1975 تنفيذ 345 عملية فدائية، موزعة على الحدود اللبنانية التي شهدت انطلاق 118 عملية، والسورية 5، والأردنية 9، وقطاع غزة والحدود المصرية 24، والضفة الغربية 79، وداخل فلسطين 104، وضربت أهداف في الخارج بـ4 عمليات.

ج- تواصل التراجع البياني للعمليات الفدائية، حيث شهد عام 1976 تنفيذ 135 عملية فدائية، موزعة على النحو التالي: شهدت الحدود اللبنانية انطلاق 14 عملية، والحدود السورية عملية واحدة، والأردنية 4، وقطاع غزة والحدود المصرية 17، والضفة الغربية 49، وداخل فلسطين 38، واستهدفت المقاومة مواقع إسرائيلية في الخارج بـ12 عملية.

(36) إيلان، بافير، ويعقوب أزر، الجيش الإسرائيلي موسوعة الجيش والأمن، 1968-1981، تل أبيب، 1984، ص168.

(37) أبو زائدة، مرجع سابق، ص63.

د. عدنان أبو عامر

ح- شهد عام 1977 تنفيذ 167 عملية فدائية، موزعة على الحدود اللبنانية التي انطلقت منها 44 عملية، والسورية 3، والأردنية 3، وقطاع غزة والحدود المصرية 3، والضفة الغربية 36، وداخل فلسطين 62، وضربت أهداف في الخارج بـ6 عمليات.⁽³⁸⁾

خ- شهد عام 1978 تنفيذ 272 عملية فدائية، موزعة على النحو التالي: فقد شهدت الحدود اللبنانية انطلاق 69 عملية، والحدود السورية عملية واحدة، والأردنية عمليتان، وقطاع غزة والحدود المصرية 17، والضفة الغربية 73، وداخل فلسطين المحتلة 98، فيما استهدفت المقاومة أهدافاً إسرائيلية في دول العالم بـ12 عملية.

د- شهد عام 1979 تنفيذ 289 عملية فدائية، موزعة على الحدود اللبنانية التي انطلق منها 32 عملية، والسورية عملية واحدة، والأردنية 4، وقطاع غزة والحدود المصرية 29، والضفة الغربية 52، وداخل فلسطين 153، وأهداف في الخارج بـ18 عملية.⁽³⁹⁾

ذ- شهد عام 1980 تنفيذ 263 عملية فدائية، موزعة على النحو التالي: فقد شهدت الحدود اللبنانية انطلاق 18 عملية، ولم تشهد الحدود السورية تنفيذ عمليات، والأردنية 2، وقطاع غزة والحدود المصرية 59، والضفة الغربية 90، وداخل فلسطين المحتلة 81، فيما استهدفت المقاومة أهدافاً خارج "إسرائيل" بـ13 عملية.

ر- شهد عام 1981 تنفيذ 277 عملية فدائية، فقد شهدت الحدود اللبنانية انطلاق 63 عملية، ولم تشهد الحدود السورية والأردنية تنفيذ عمليات، وشهد قطاع غزة والحدود المصرية تنفيذ 43 عملية، والضفة الغربية 100، وداخل فلسطين المحتلة 70 عملية.⁽⁴⁰⁾

ويمكن الخروج من هذه الأرقام المهمة بالنتائج التاريخية التالية:

1- نلاحظ أن تصاعد وتراجع العمليات الفدائية القادمة من الحدود العربية المجاورة لفلسطين المحتلة، اللبنانية والسورية والأردنية والمصرية، ارتبط تاريخياً بـصور وثيقة بطبيعة العلاقة التي ربطت قوى المقاومة في حينه مع النظم السياسية العربية.

2- جاءت الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت عام 1975 لتقدم دليلاً إضافياً على تراجع العمليات الفدائية ضد الاحتلال، وتثبت أن الخلافات العربية الداخلية والثنائية، لمصلحة الاحتلال، وأشادت الوقائع أن مستوى العمليات انخفض بصورة ملموسة بعد اندلاعها.

(38) بافير، مرجع سابق، ص170.

(39) أبو زائدة، مرجع سابق، ص69.

(40) المرجع السابق، ص72.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

3- بقي العمق "الإسرائيلي" "هدفاً مفضلاً" لقوى المقاومة في استهداف مستوطنيه ومؤسساته ومرافقه العامة، الأمر الذي أرادت منه إيصال رسالة ميدانية مفادها: "لا مقام لكم في فلسطين، ولا استقرار ولا أمان، حتى بعد مرور عقود وسنوات طويلة على احتلالها".
في المقابل، أسفرت العمليات الفدائية خلال تلك المرحلة عن خسائر كبيرة في صفوف

الاحتلال، لاسيما في المجال البشري، على النحو التالي:⁽⁴¹⁾

- أ- عام 1970 سقط نتيجة عمليات المقاومة 24 قتيلاً، و115 جريحاً.
- ب- عام 1971 سقط 5 قتلى، و45 جريحاً.
- ت- عام 1972 سقط 32 قتيلاً، و101 جريحاً.
- ث- عام 1973 سقط قتيلاً واحداً، و16 جريحاً.
- ج- عام 1974 سقط 60 قتيلاً، و214 جريحاً.
- ح- عام 1975 سقط 44 قتيلاً، و158 جريحاً.
- خ- عام 1976 سقط 4 قتلى، و75 جريحاً.
- د- عام 1977 سقط 7 قتلى، و109 جريحاً.
- ذ- عام 1978 سقط 49 قتيلاً، و281 جريحاً.
- ر- عام 1979 سقط 19 قتيلاً، و259 جريحاً.
- ز- عام 1980 سقط 13 قتيلاً، و66 جريحاً.
- س- عام 1981 سقط 3 قتلى، و21 جريحاً.⁽⁴²⁾

وبالرغم من تلك الإحصائيات المهمة، فيرجى النظر إليها بكثير من الحذر، لأن "الإسرائيليين" اعتادوا طوال فترة المواجهات مع المقاومة على إخفاء خسائرهم، كما ونوعاً.
وفي مرحلة ما بعد الغزو "الإسرائيلي" للأراضي اللبنانية عام 1982، نظمت المقاومتان الفلسطينية واللبنانية شبكات سرية في مناطق الاحتلال، وانطلق الفدائيون من مواقعهم الجديدة في جبل لبنان وسهل البقاع، ونجحوا في قتل 150 جندياً إسرائيلياً بين أواخر أيلول 1982 ونهاية تموز 1983، ورفعوا معدل العمليات إلى 40 عملية شهرياً.⁽⁴³⁾

(41) بافير، مرجع سابق، ص172.

(42) السنوار، زكريا، العمل الفدائي في قطاع غزة من 1967-1973، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2003، ص46.

(43) المرجع السابق، ص67.

د. عدنان أبو عامر

وأخذت القواعد الفدائية تنمو في الجنوب اللبناني من جديد، وعادت صواريخ الكاتيوشا للسقوط على مناطق الجليل المحتل بين الحين والآخر، واشترك الفلسطينيون مع اللبنانيين لرفع وتيرة النشاط المسلح إلى 75-80 عملية شهرياً صيف 1984، ثم 150-200 عملية شهرياً في النصف الأول من عام 1985، وتكبد جيش الاحتلال 255 قتيلاً إضافياً.⁽⁴⁴⁾ ونتيجة لعمليات المقاومة وخسائر الاحتلال فقد انسحب عام 1985، بعد ثلاث سنوات من الاحتلال إلى الشريط الحدودي، بعد تسلم عملائه منطقة "الحزام الأمني".

ومن أهم عمليات التسلل عبر الحدود اللبنانية باتجاه فلسطين المحتلة بعد عام 1982:

1- بتاريخ 28/آب/1985 حاول 28 فدائياً التسلل إلى الشواطئ الفلسطينية عن طريق زوارق مطاطية عبر البحر إلا أنها فشلت، واعتبرت دولة الكيان نفسها تواجه تهديداً بحرياً للمرة الأولى في تاريخها.

2- بتاريخ 25/تشرين ثاني/1987، نجح الفدائي "خالد أكر" من الجبهة الشعبية - القيادة العامة، في التسلل إلى فلسطين المحتلة، بعد تجنبه للرادارات "الإسرائيلية"، واقتحم معسكراً للجيش، وأطلق النار في كل مكان، وألقى القنابل باتجاه الجنود، مما أسفر في النهاية عن مقتل ستة منهم، وإصابة سبعة آخرين.⁽⁴⁵⁾

ومع ذلك، فلا بد من الإقرار بأن خروج الثورة من لبنان، والتوجهات نحو عملية التسوية، أثر على المقاومة عبر الحدود، حيث تناقص عدد عملياتها وإطلاق صواريخ الكاتيوشا، وتراجعت خسائر الاحتلال.

كما أثرت ظاهرة الاختراق الأمني والعملاء المدسوسين سلباً على المقاومة، وأدت إلى إحباط عدد كبير من العمليات، واستشهاد عدد كبير من المقاومين، وإلقاء القبض على آخرين بمجرد وصولهم إلى الحدود، وفي بعض الأحيان كان الجيش الإسرائيلي ينادي على المقاومين المتسللين بعد محاصرتهم بالاسم لكي يسلموا أنفسهم!

رابعاً - سمات ومميزات المقاومة المسلحة:

بين عامي 1967-1987، ركزت قوى المقاومة على إحياء الهوية الوطنية، والترويج للعمليات المسلحة، واقتصر عملها على القيام بدوريات في الأرض المحتلة، وتدريب مقاتلين

(44) كاتس، صموئيل، حرب الثلاثون عاماً، ترجمة تحسين الحلبي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997، ص154.

(45) معاريف، 1987/11/26.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

على زرع الألغام والعبوات، ثم النشاط على الحدود السورية اللبنانية أوائل 1967، بين 113-300 عملية شهرياً، واقترب عدد المقاتلين من 30 ألفاً بعد حرب عام 1967.⁽⁴⁶⁾ علماً بأن رقعة الاحتلال التي أعقبت الحرب، ازدادت بصورة ملحوظة في الضفة وغزة والقدس، وسيناء والجولان، وأضيفت إليها مساحات شاسعة من الأرض، وغدت أضعاف المساحة المحتلة عام 1948، وأصبح تحت سيطرة قوات الاحتلال أعداد إضافية من الفلسطينيين.

وهنا، يمكن الإشارة إلى آثار هذا التوسع الميداني على صعيد المقاومة المسلحة، حيث اتسعت قاعدة الاحتكاك مع المحتل "الإسرائيلي"، وأوجدت مجالاً واسعاً لها، مما أدخلها في مرحلة جديدة، أطلق عليها الفدائيون "مرحلة القواعد الارتكازية"، التي قامت على التصدي لأي نزوع محتمل نحو التسليم بالهزيمة والأمر الواقع، وتقديم النموذج لمواصلة العمل العسكري، وضرب سياسة التعايش التي حاول الاحتلال القيام بها في الضفة وغزة.

وشكلت هذه "القواعد الارتكازية" مواقع تدريب متحركة داخل الأرض المحتلة، وفور الاحتلال عام 1967 بأشهر معدودة، اندفع قرابة ألف من كوادر تنظيمات المقاومة لإنشاء هذه القواعد، وزاد عددهم في الجبال عن المئات.

وتشير الوقائع التاريخية إلى قيام الاحتلال بسياسة مضادة، وحملة معاكسة، تلخصت في فرض حظر التجوال، واستقدام وحدات عسكرية واستخبارية، وتقسيم الضفة الغربية إلى مربعات، ثم تمسيطها بانتظام، لكشف المخابئ وضربها بالطائرات، وتحديد مناطق تواجد الفدائيين، وأسفرت العمليات العسكرية التي نفذها عن اعتقال 1000-1250 مقاتلاً، واستشهاد 63 منهم، ولجوء المئات إلى الأردن، وتكبد الاحتلال 97 إصابة.

وأدى فشل تجربة "القواعد الارتكازية" إلى التحول نحو إقامة "القواعد الثابتة" على الضفة الشرقية لنهر الأردن، ودفعت عمليات الاحتلال الانتقامية المستمرة إلى حمل الفدائيين لنقل قواعدهم الرئيسية نحو الخلف صوب التلال المشرفة على وادي الأردن، وانتقال الكوادر إلى المدن والمخيمات في الضفة الشرقية.⁽⁴⁷⁾

ومن وجهة نظر المقاومة، فقد خدم هذا البديل العمل الفدائي آنذاك من عدة نواحي:

1- موقع استراتيجي من الناحية الجغرافية قريب من "إسرائيل" يسهل طريقة العمل الفدائي "اضرب واهرب" والتحصير السريع.

(46) كاتس، مرجع سابق، ص 164.

(47) أبو زائدة، مرجع سابق، ص 79.

د. عدنان أبو عامر

- 2- موقع يمكن الإشراف الفلسطيني على النشاط الفدائي.
- 3- موقع يتواجد فيه المؤيدون للفدائيين، ممن يمثلون الركيزة والدعم الأساسية لهم.
- 4- من الناحية النفسية، جاء هذا البديل في منطقة يقوى فيها موقف الصمود، لأن التواجد بالقرب من الحدود "الإسرائيلية" لبي طموح المقاومة المسلحة، وأكد استمرارية دعمها. ويمكن استعراض أبرز سمات المقاومة آنذاك على النحو التالي:
 - أ- المشاركة الشعبية الكبيرة، من خلال استيعابها للكثير من الفئات الاجتماعية المختلفة في المجتمع الفلسطيني، وأوكلت إليها مهام محددة.
 - ب- استقطابها لجميع الأيديولوجيات الفكرية، وطنية ودينية وعلمانية وقومية وشيوعية، مما منحها تعدداً انعكس على أدائها، واستفادت من الموروث الثقافي للأيديولوجية التي تبنتها.
 - ت- تشابهها في توجهاتها السياسية إلى حد بعيد، بحيث جاء هدف التخلص من الاحتلال، والحصول على الاستقلال القاسم المشترك بين قوى المقاومة.⁽⁴⁸⁾
 - ث- إقامة التحصينات القوية والأنفاق بين الجبال على الحدود الأردنية، واقتصرت على الجبهة الشعبية القيادة العامة- بقيادة أحمد جبريل.
 - ج- في قطاع غزة تركز الضرب ومهاجمة الدوريات داخل المدن في الحافلات والدوريات، واتباع الاحتلال سياسة الابتعاد عن المخيمات، مما مكن الفدائيين عام 1970 من السيطرة على المخيمات في الليل، بينما الجيش الإسرائيلي يسيطر في النهار، وقد سطع نجم "محمد الأسود 1946-1973"، الملقب بـ"جيفارا غزة".⁽⁴⁹⁾
 - ح- كان الوضع في قطاع غزة مناقضاً تماماً للضفة الغربية، إذ توفرت فيه أوضاع الانتفاضة، وكانت قوات التحرير الشعبية أول من استعاد عافيته بعد القمع الإسرائيلي أوائل عام 1968، وكانت مسئولة عن نصف العمليات الفدائية، وبلغت 167 عملية عام 1968، و471 عام

(48) الرنتيسي، فايز، أضواء على مسيرة الثورة الفلسطينية المعاصرة 1948-1986، مؤسسة العهد، الدوحة، 1987، ص 67.

(49) أحد أبرز قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أصبح من عناصر التنظيم النشطة في القطاع، وبعد حرب 1967 أصبح قائداً لإحدى المجموعات المقاتلة في منظمة "طلّاع المقاومة الشعبية"، ونفذ مع مجموعته عدة عمليات جريئة، واعتقل أوائل عام 1968، وبقي لمدة سنتين ونصف حين أطلق سراحه عام 1970، حيث واصل نضاله بعد خروجه من السجن مباشرة، وقام بنشاط مكثف في إعداد المجموعات العسكرية وتدريبها وتنقيتها، إلى أن تسلم قيادة العمل العسكري للجبهة الشعبية في قطاع غزة، حتى استشهاده.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

- 1969، و455 عام 1970، وأوقعت 248 إصابة في صفوف الاحتلال، قياساً بـ33، 112، و56 عملية على التوالي في ذات الأعمار في الضفة الغربية.
- خ- شكل أفراد جيش الاحتلال وضباط وموظفو الحكم العسكري أهدافاً رئيسة للفدائيين، إضافة إلى خط سكة الحديد وشبكات الكهرباء والمياه، وبدأت الحافلات التي تنقل العمال إلى داخل فلسطين المحتلة تتعرض للهجوم بعد آذار 1970، وإن وجهت أكثر عمليات المقاومة ضد العملاء، ممن أطلق عليهم "المخبرين" المجندين لصالح المخابرات الإسرائيلية.⁽⁵⁰⁾
- د- في الضفة الغربية، بقيت المقاومة المسلحة "متواضعة"، ولم تتجاوز 33 هجوماً عام 1968، و112 عام 1969، و56 عام 1970، ولم تتجاوز نسبتها في سجل المقاومة آنذاك 3% فقط، وكانت الخسائر البشرية في صفوف الاحتلال ضئيلة، إذ بلغت 49 إصابة عام 1968، ثم 59 في العام التالي، وانخفضت إلى 17 إصابة طوال عام 1970.⁽⁵¹⁾
- ذ- ارتفع عدد المقاتلين في سنوات ما بعد حرب 1967 بصورة ملحوظة، ففي حين لم يتجاوز العدد مطلع عام 1965 مائة مقاتل، ارتفع إلى الضعف أوائل عام 1967، وفي آذار عام 1968 وصل إلى 500، ثم 3000 صيف 1968، وفي صيف عام 1970 وصل عددهم على الحدود الأردنية والسورية واللبنانية إلى ما يقرب من 30 ألف مقاتل.
- ر- تراقف ذلك ارتفاع في عدد العمليات والإصابات في صفوف الاحتلال، فقد كانت هناك 6 عمليات شهرياً في ربيع عام 1967، و15 في الخريف، و300 عملية شهرياً عام 1969، وبلغت عدد العمليات 480 عملية في آب عام 1969.
- ز- أما الإصابات "الإسرائيلية"، فقد وصلت إلى 69 قتيلاً وجريحاً عام 1967، و355 عام 1968، وارتفعت إلى 473 قتيلاً وجريحاً عام 1969، مع ملاحظة تراجع فعاليات العمليات الفدائية قياساً بنسبة الخسائر "الإسرائيلية"، أي انخفاض عدد المصابين في كل عملية فدائية، مما زاد عدد العمليات نفسها.⁽⁵²⁾
- ورغم العنف الإسرائيلي في استهداف الفدائيين في مرحلة ما بعد حرب 1967، إلا أنها واجهت مقاومة شرسة من قبل القوات الأردنية ومقاتلي المقاومة الفلسطينية خلال معركة

(50) الرنتيسي، مرجع سابق، ص70.

(51) كاتس، مرجع سابق، ص154.

(52) المرجع السابق، ص148.

د. عدنان أبو عامر

الكرامة، فتم تدمير 29 مدرعة "إسرائيلية"، واستشهد 116 فدائياً، و61 من الجيش الأردني، و28 قتيلاً إسرائيلياً، و90 جريحاً، وتدمير 13 دبابة، وإعطاب 20 أخرى.⁽⁵³⁾ ونظراً لأن المعركة جاءت بعد أقل من عام على هزيمة 1967، فقد اعتبرت انتصاراً كبيراً لفصائل المقاومة، وغدت أمل التحرير، وتسعى إلى تصفية دولة الاحتلال، لذلك اتجهت قلوب الفلسطينيين في الأرض المحتلة والشتات إلى قوى المقاومة الصاعدة، وانضم الآلاف إلى صفوفها وقواعد تدريبيها، وقطفت حركة فتح ثمار "الكرامة"، وفتحت الأبواب أمامها، فوعدت بدعم عربي، وتلقت تأييداً من بعض الدول العربية، وأخذ آلاف المتطوعين يتدفقون على معسكراتها.

وما لبثت أن شاركت قوى المقاومة في حرب تشرين أول عام 1973، حيث ركز الفدائيون على الجبهة السورية على مهاجمة طرق التعزيزات "الإسرائيلية"، وقصف العمق ومهام الاستطلاع.

وانطلقت كتائب حطين الثلاث لتحتل شريطاً من التلال الإستراتيجية التي تألف منها الخط الدفاعي "الإسرائيلي"، وتسلتل الكتيبتان 412، 413 عبر الشريط الأمني، وتسلفت السفوح لتهاجم المواقع على التلال، واحتفظت الوحدات السورية بمكتسباتها إلى حين وصول الطلائع المدرعة.

وقامت كتيبتنا لواء القادسية بمهام أمن المؤخرة، وشكلت قوة احتياط في القاطع الجنوبي، وسقط 44 شهيداً و65 جريحاً في صفوف جيش التحرير الفلسطيني، و20 شهيداً في صفوف الفدائيين.⁽⁵⁴⁾

وعلى الجبهة المصرية، شاركت ثلاث كتائب ضمن جيش التحرير الفلسطيني، وانتشرت أمام منطقة "البحيرات المرة" على جبهة طولها 25 كم جنوب "ثغرة الدفرسوار"، وكان دورها دفاعياً، حيث تصدت القوات الفلسطينية للهجوم المضاد في 18 تشرين أول، وأعاققت تقدم قوات الاحتلال عبر التلال ووادي الجاموس، وشاركت إحدى كتائب عين جالوت في الدفاع عن مدينة السويس المحاصرة، وخسر 30 شهيداً و70 جريحاً.⁽⁵⁵⁾

(53) أبو زائدة، مرجع سابق، ص50.

(54) الرنتيسي، مرجع سابق، ص74.

(55) المرجع السابق، ص78.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

وعلى صعيد المقاومة داخل الأرض المحتلة، جاءت الإجراءات "الإسرائيلية" بداية السبعينيات فعالة بصورة متزايدة، ودفع هذا بحركات المقاومة لإحياء أسلوب "الدوريات المطاردة"، وهي المجموعات الفدائية المتنقلة التي ظهرت في جبال الضفة الغربية، لمهاجمة قوات الاحتلال بين حين وآخر، وإقامة شبكات سرية جديدة في القرى والبلدات.

وقامت هذه "البؤر" الفدائية بتعبئة عموم السكان، وتدريب جيل جديد من الكوادر، وإزاحة الحاجة للتسلل من الأراضي العربية، غير أن الواقع أثبت صعوبة هذا العمل، فلم يبق بعد سنة 1971 إلا دورية واحدة في منطقة الخليل.⁽⁵⁶⁾

كما واجهت عمليات تدريب المجموعات الفدائية الجديدة وتموضعها وتموينها تحديات كبيرة من الناحيتين الإدارية واللوجستية، وأنشئت خمس دوريات مطاردة في الضفة الغربية خلال عامي 1974-1975، وقد منعت الأحوال الصعبة، والافتقار للتنظيم القوي، والضغط "الإسرائيلي" المستمر، من مضاعفة عددها، ودفع بها للفرار بالتدريج نحو الأردن في الفترة 1975-1977، ووصل معدل العمليات في الأرض المحتلة إلى عملية واحدة يومياً فقط، من تفجير قنابل يدوية، واستخدام الأسلحة الفردية ضد الجنود.

ويمكن تسليط الضوء على أبرز الأساليب التي استخدمتها المقاومة في هذه المرحلة:

1- العمليات الفدائية: وجاءت على النحو التالي:

- أ- في 11/نيسان/1974، تسلل ثلاثة فدائيين إلى مستوطنة "كريات شمونة" شمال فلسطين، حيث يوجد مبنى تابع لتنظيم "ناحال" العسكري، وطالبوا بإطلاق سراح 100 فدائي، حيث اقتحم جيش الاحتلال المكان، وقتل 19 وجرح 16 من الجنود، واستشهد المنفذون.
- ب- في 15/أيار/1975، احتجز الفدائيون 100 رهينة من منظمة "جدناع" العسكرية داخل مستوطنة معالوت "ترشيجا"، شمال فلسطين، وأسفرت عن مقتل 23 وجرح 70 منهم.
- ت- عمليات استشهادية وقعت في مستوطنة "كفار شامير"، وتعني "أم العقارب" في 13/حزيران/1975، وعملية نهاريًا في 24/حزيران، وعملية "بيت شان - بيسان" في 19/تشرين ثاني، حيث ألقى استشهادي بقنابل يدوية في سينما القدس، وأصيب 59 "إسرائيليًا".
- ث- عمليات مستوطنات "كفار يوفال" في 5/حزيران/1975، و"متولا" -المطلة" في 18 تموز، و"كفار جلعادي" في 10/تشرين ثاني، و"رمات مجشيميم" في 20/تشرين ثاني.⁽⁵⁷⁾

(56) أبو زائدة، مرجع سابق، ص 53.

(57) كاتس، مرجع سابق، ص 165.

2- الرسائل المفخخة: وهي مادة قليلة ومصغرة من المتفجرات تزن "أونصة"، أي 31 غرام، في ظرف بريميدي وضغطه في الداخل، وربطه بجهاز صغير، وعندما يفتح المغلف ينطلق "الرفاص" المتصل بجهاز الصاعق ليفجر العبوة، وكان أول من استعملها الجبهة الشعبية القيادة العامة في 28/كانون أول/1961، حيث أرسلت في العاصمتين الأوروبيتين "بلغراد وفيينا" 15 رسالة مفخخة إلى رجال أعمال، ومؤسسات يهودية.

وقد وصلت إحدى هذه الرسائل إلى قائد المنطقة الوسطى في جيش الاحتلال عام 1970 إلا أنها أصابت خبير المتفجرات بتشوهات وحروق، وفي تشرين ثاني 1972 أرسلت عشرات الرسائل المفخخة من سنغافورة إلى مؤسسات تابعة لدولة الاحتلال والقارة الأوروبية، وأرسلت منظمة "أيلول الأسود" خلال عقد السبعينات مائتي رسالة متفجرة إلى المنظمات اليهودية في أنحاء العالم، وقتل العديد من اليهود بسببها.⁽⁵⁸⁾

خامساً - تقييم المقاومة المسلحة 1967-1987:

شهدت هذه المرحلة ظهور فصائل المقاومة، بعد إدراك الفلسطينيين أن عبء التحرير يقع عليهم، ولا أمل في الاعتماد على الدول العربية، بعد أن أثبتت عجزها بعد حرب عام 1967، وانعكس ذلك على قوتها من حيث العدد والعدة، خاصة بعد معركة "الكرامة".

ومن خلال مسح لقواتها في تلك الفترة تبين مدى الإقبال عليها، وازدياد وعي الشعب بقضيته، وتساعد حدة العمليات العسكرية من حيث عددها وحجم الخسائر الإسرائيلية.

وبالرغم من السمات الإيجابية التي صاحبت المقاومة في تلك المرحلة التاريخية الهامة، فإننا نورد هنا عدداً من الملاحظات والأخطاء، جزء منها تم تجاوزه من قبل قوى المقاومة، وجزء آخر كان قاتلاً ومصيرياً وتاريخياً، على النحو التالي:

1- سوء إدارة العلاقة مع الدول العربية المجاورة لفلسطين، وتحديدًا النظام الأردني، حيث صدرت دعوات في ساحة المقاومة، لاسيما من جبهة اليسار ممثلاً في الجبهتين الشعبوية والديمقراطية، تعتبران في تصريح صدر في شهر آب 1970 نظام الملك "حسين 1935-1999"⁽⁵⁹⁾ عميلاً رجعيًا ومتواطئاً مع الامبريالية العالمية، وأتبعته بعض المظاهرات الميدانية، واحتجاز الرهائن من القيادة العسكرية في عمان في حزيران 1970.⁽⁶⁰⁾

(58) أبو زائدة، مرجع سابق، ص 67.

(59) تولى العرش عام 1952، واصطدم مع الضباط الأحرار في مصر، وفي عام 1967 صدرت الأوامر للجيش الأردني بإخلاء مواقعه في الضفة الغربية بعد هزيمة حزيران، وتعرضها لخسائر كبيرة، ثم نشب نزاع بين المملكة والمقاومة انتهت بإعلان الحرب عليها في أيلول 1970، بما عرف باسم أيلول الأسود. تنتهه بعض

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

علماً بأن حركة فتح كانت تتجنب الصدام مع الملك، وحاولت تأجيله عبر الاتصال مع الرئيس المصري "جمال عبد الناصر 1918-1970"⁽⁶¹⁾، على اعتبار تبنيها لسياسة "الانشغال مع العدو الرئيس"، وعدم إقحام الثورة في شئون داخلية عربية، رغم وقوع سلسلة من الأخطاء والاستفزازات التي قام بها بعض الفدائيين، ووصول النظام في الأردن إلى قناعة مفادها أن الفلسطينيين يسعون إلى "سلبه السلطة"⁽⁶²⁾.

هنا لا يجب أن يفهم من الحديث أننا نخلي ساحة النظام الأردني من أي أخطاء وخطايا، بسبب صلاته وارتباطاته الإقليمية والدولية، التي أثرت سلباً على مسيرة المقاومة، لكن المأخذ الحقيقي على المقاومة في حينه أنها لم تتقن فن التعامل الحذر معه، مما أفقدها ساحة مهمة من ساحات المواجهة مع المحتل الإسرائيلي.

2- عدم مواءمة الطبيعة الجغرافية للأراضي المحتلة مع الأوضاع الميدانية لعدد من التجارب الثورية المتزامنة مع الثورة الفلسطينية، خاصة حين حاولت استلهاً التجارب الكوبية والفيتنامية والجزائرية، فيما يتعلق بـ"المحاور الارتكازية والقواعد المتنقلة وخلق مناطق محررة"، مع الاعتماد على دعم وقوة الجماهير في المناطق المحيطة والقريبة.

كما أن الضفة الغربية بتضاريسها وطبوغرافيتها وغطائها النباتي وجبالها وأنفاقها لم تكن كفيتنام أو كوبا، وليس متاحاً الاختباء والتمركز فيها، مما أدى -وفي أقل من ستة أشهر- إلى تصفية هذه القواعد، والتضييق على المقاومين، وحشرهم في مناطق معينة، مما أدى إلى فشل هذه النظرية، وانتهت باستشهاد 63 مقاتلاً، واعتقال حوالي 1000 منهم، في اشتباكات متواصلة شهدتها العام 1968.

الأوساط بإخبار تل أبيب بنوايا مصر وسوريا لخوض حرب ضدها عام 1973. من مؤلفاته: ليس سهلاً أن تكون ملكاً، مهنتي كملك، تزوج أربع مرات، ولديه 11 ولداً وبناتاً.

(60) جاد الله، غانم، علاقة منظمة التحرير بالنظم الأردني، دار الأسوار، عكا، ط2، 1987، ص49.

(61) تولى السلطة في مصر بين عامي 1954-1970، ويعتبر قائد ثورة 23 تموز 1952، شجع الثورات في الوطن العربي ودول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، ولعب دوراً قيادياً وأساسياً في تأسيس منظمة التحرير سنة 1964، يعتبر من أهم الشخصيات السياسية في العالم العربي، عرف عنه قوميته وانتماؤه للوطن العربي، واكتسب الكثير من المؤيدين في الوطن العربي، وبالرغم من أن صورته كقائد اهتزت إبان نكسة 1967، إلا أنه ما زال يحظى بشعبية وتأييد بين كثير من مؤيديه. توفي سنة 1970، وكانت آخر مهامه الوساطة لإيقاف أحداث أيلول الأسود بين الأردن والمنظمات الفلسطينية.

(62) خلف، صلاح، فلسطيني بلا هوية، بدون دار نشر، ط1، 1978، ص176.

د. عدنان أبو عامر

3- الاعتماد الكبير على القوة البشرية من خلال ضم أكبر عدد ممكن منهم، وإرسالهم إلى مواقع الحشد والتعبئة والتدريب، وبات كل راغب في المقاومة بإمكانه الانضمام إليها، وتلقي التدريب في صفوفها، إلى درجة أن الفصائل أصبحت غير قادرة على استيعاب أعداد إضافية، فقد شهدت الأسابيع التالية لمعركة الكرامة، نمواً مطرداً في القوات الفدائية وصلت إلى 12 ألف مقاتل، ثم 21 ألفاً صيف عام 1968.⁽⁶³⁾

ومن سلبات الانخراط الشعبي في صفوف المقاومة، بالرغم من إيجابياته الظاهرة، أن كثرة الأعداد طغت على نوعية العنصر البشري المقاتل من حيث الكفاءة والأداء، لاسيما وأن تلك المرحلة تطلبت عملاً عسكرياً على طريقة "الكر والفر والحركة السريعة والتسلح بأدوات خفيفة"، دون حاجة لحشد بشري كبير، والزج بقوات مقاتلة ضخمة داخل ميدان المواجهة.

كما استغل الاحتلال وأجهزة مخابراته هذه الفجوة لزرع عدد كبير من عملائه لإحباط المقاومة وإفشال عملياتها، وازداد ذلك بعد معركة الكرامة، حيث دفع الاحتلال بمئات الجواسيس والعملاء نحو المقاومة، وقاموا بالكشف عن معلومات هامة، مكنت القوات الجوية الإسرائيلية من تنفيذ غارات دقيقة على قواعد الفدائيين.

ولذلك شكلت حركة فتح نهاية عام 1967 وحدة خاصة لمكافحة التجسس سميت "جهاز الرصد"، للقضاء والتخلص من العملاء، وتحويل بعضهم ضد الاحتلال، وأول من ترأسها فاروق القدومي، ثم خلفه صلاح خلف.

4- المبالغة غير المنطقية في تبني العمليات المسلحة، التي أصبحت نهجاً فيما بعد، ووقعت معظم فصائل المقاومة في هذه الإشكالية مما أفقدها المصدقية، وخلق نوعاً من الإحباط لدى المجموعات المسلحة بعكس ما كان متوقفاً.

فقد صدر بيان من عمان بتاريخ 22/تموز/1969، ادعى وقوع معركة بالأسلحة النارية لمدة 30 دقيقة، "دمرنا خلالها عربيتين عسكريتين، وأسقطنا طائرة مروحية".

وادعت فتح في حادثة أخرى وقوع 22 إصابة في صفوفها خلال مقاومة 1500 مظلي "إسرائيلي" تم إنزالهم فوق أرض المعركة، وهو عدد مستحيل من جهة، وأسلوب لم يستخدمه جيش الاحتلال قط في العمليات المضادة للعصابات من جهة أخرى.

(63) كاتس، مرجع سابق، ص 178.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

وخلال عشرة أيام في شهر أيار 1969، زعمت فتح والجبهة الشعبية وقوات التحرير الشعبية أنها قتلت أكثر من 176 جندياً، وأوقعت 3500 إصابة بينهم، ودمرت 380 عربة عسكرية، مقابل 52 قتيلاً و30 أسيراً من جانبها!

5- "الأعمال المشينة" التي ارتكبتها بعض الفدائيين في مناطق مختلفة من ساحات المقاومة، تجاه بعض قطاعات المجتمع الفلسطيني على نحو يسيء لهم، وبحرفهم عن العنوان الصحيح، فقد تم استهداف طبقة العمال الذين يتوجهون للعمل داخل دولة الاحتلال، وتصفية عدد من العملاء دون وجود معايير صحيحة ومحددة، والاكتفاء بالشبهة لتنفيذ الإعدام.

ففي قطاع غزة مثلاً، قتل عام 1969، سبعة عملاء من بينهم امرأة، وارتفع العدد بصورة ملحوظة عام 1970 ليصل 170، وشهد عام 1971 مقتل 81 شخصاً.⁽⁶⁴⁾

ومن التصرفات المشينة إلقاء قنبلة في معسكر جباليا بتاريخ 22 كانون أول 1970 مما أدى إلى إصابة 12 طفلاً بجراح، وفي 27 نيسان 1971 أصيب 18 مواطناً بجراح خطيرة، من بينهم 7 أطفال، حين ألقيت قنبلة يدوية في دكان بقالة في غزة، لأن صاحبها رفض دفع تبرعات للفدائيين، وفي 18 تموز 1971 ألقيت قنبلة يدوية على مدرسة فلسطين بمدينة غزة، فأصيب 12 شخصاً، بينما الطلبة يتقدمون لامتحانات الثانوية العامة، وفي 23 تشرين ثاني 1972 جرت في خانونس محاولة فاشلة لنسف مستودع تابع لوكالة الغوث.⁽⁶⁵⁾

وقد أدت جميع هذه الأعمال وغيرها إلى استياء واسع من قبل قطاع واسع من الشعب الفلسطيني، وأدت بالتالي إلى ابتعاد الفدائيين عن قلوب الجماهير، الذين هم السند الطبيعي والحقيقي لهم خلال مختلف مراحل العمل الفدائي.

6- انتقلت الفصائل المسلحة منذ بداية عقد السبعينات من وحدات مشكلة على أساس حرب العصابات إلى تشكيلات نظامية على هيئة "سرية، كتيبة، لواء، فرقة" في مختلف الساحات: الفلسطينية، اللبنانية، الأردنية، وإدخال الأسلحة الثقيلة الهجومية والدفاعية من قبل الدبابات المدفعية الثقيلة، صواريخ بعيدة المدى، آليات نقل ضخمة.

كما أصبح لكل تشكيل قائد وهيئة أركان من ضباط عمليات وضباط إدارة وإمداد وتموين، وأدى هذا التحول إلى إنفاق أموال ضخمة لشراء هذه الأسلحة، ووضعها في مخازن متفرقة، كما

(64) بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تم توزيعه في قطاع غزة في شهر أيلول 1971.

(65) وثقت صحيفة القدس المحلية بين عامي 1970-1972، جميع هذه الحوادث، وقد عاد إليها الباحث لحصرها ورصدها.

د. عدنان أبو عامر

أرسلت البعثات السنوية إلى البلدان الشرقية، خاصة الصين والاتحاد السوفييتي السابق، للتدريب على الأسلحة، وخوض حروب نظامية بين جيوش بكافة أسلحتها وإمكاناتها. ونتيجة لذلك، فقدت فصائل المقاومة القدرة الفعلية على خوض حرب العصابات المتمثلة في "الحركية والمرونة والضرب والهرب والاختفاء عن العيون"، وأثبتت هذه الاستراتيجية فشلها خلال حرب 1982، فقد تمتع الاحتلال بتفوق كامل في سلاح الجو والدبابات، عوضاً عن الحرب الاستخباراتية وجمع المعلومات، وكان من العبث أن تستعمل المقاومة تلك الأسلحة الثقيلة السوفيتية الصنع في ساحة المعركة لأن ذلك يعني لها الهلاك.

7- حدوث الصدمات والاشتباكات واستخدام السلاح في غير ميدانه الأصلي، حيث تكررت تجربة الدم الفلسطيني في الأردن، لكن هذه المرة أشد فتكاً وأكثر شراسة، وكانت في بداياتها صدمات متفرقة تم السيطرة عليها في مراحلها الأولى رغم دمويتها، إلى أن حدث الصدام الحتمي عام 1976 واستمرت 18 شهراً.⁽⁶⁶⁾

وهنا لا نريد الدخول في محاكمات تاريخية لهذا الطرف أو ذاك، لكن ما يهمنا في تقييم سلوك المقاومة التي لم تستوعب دروس التجربة الأردنية المريرة التي وقعت في أحداث أيلول 1970، بحيث تكررت نفس الأخطاء على الأرض اللبنانية، وانتقلت الميليشيات المسلحة من الأردن إلى لبنان، مع مضاعفة عددها.

وأخذت عدد من الفصائل بخط الانحياز إلى هذا الاتجاه أو ذاك، بما فيه الدخول في الصراعات الداخلية اللبنانية، وانخراط أكثر من فصيل في سياسة المحاور الإقليمية، والتنقل بين محور وآخر، مما أسهم بصورة وأخرى في التسريع بتشكيل المعسكرات المتحاربة في لبنان، وسمحت لبعضها باستخدام هذه الأخطاء للنفخ بها، وتزوير وقائع التاريخ.

كما انتشرت مظاهر المسلحين في مختلف الأراضي اللبنانية، وأقاموا الحواجز هنا وهناك حسب مناطق نفوذهم، وأقيمت السجون وزنازين التحقيق لكل فصيل، ومارس بعض المسلحين مظاهر العريضة والاعتداء بكافة أشكاله، على الأعراض والأماكن، والاستقواء بالسلاح وبقوة التنظيم.

2- بروز ظاهرة حكم الفرد، واختزال القرار ووضعه في شخص، والتسيب المالي والإداري، ومرحلة "الدولة داخل الدولة"، في الأردن ولبنان مثلاً، والانشغال بالمناصب ولعبة المحاور والتكتلات، وخوض الصراعات الخفية في أجواء من المؤامرات والدسائس، ما انعكس سلباً

(66) خلف، مرجع سابق، ص178.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

على المقاومة، وعلى مواجهة المؤامرات التي تحاك ضدها، وظهر هذا النمط بصورة قوية في حركة فتح، لأنها تحكمت في أكبر قدر من الموارد البشرية والمالية، وتكرر الأمر ذاته وفي معظم جوانبه على التنظيمات الأصغر.

● سادساً - سياسة الاحتلال ضد تصاعد المقاومة:

فور احتلال الضفة والقطاع، انتهجت السلطات العسكرية سياسة القمع تجاه الفلسطينيين، وغدت كل حركة من حركاتهم، وكل عمل يقومون به خاضعاً للحاكم العسكري، باستطاعته أن يوقف ويسجن وينفي من يشاء، وأضحت المنازل معرضة للهدم، والأراضي للمصادرة، والمحاصيل للحرق، والأشجار للقطع، دون أن يكون بمقدورهم دفع ذلك، والاحتجاج عليه. وبدأ قادة الاحتلال حملة قمعية عرفت باسم "القبضة الحديدية"، بدأت بمنع التجوال في المخيمات على مدار الليل والنهار، وتدمير ما لا يحصى من المنازل "لتمهيد طريق" المركبات العسكرية، وإتلاف الجنائن وبساتين البرتقال، والضرب والاستجوابات، وتفتيش البيوت بصورة منهجية، والاعتقال والسجن، ونفي نحو اثني عشر ألفاً من أقارب المشتبه في أنهم من الفدائيين إلى معسكرات الاعتقال.⁽⁶⁷⁾

وامتألت سجون الاحتلال بالفلسطينيين، وخلال مراحل الدراسة بلغ متوسط عددهم سنوياً 600 فلسطيني، وتراوحت مدة الاعتقال بين يومين و12 عاماً، وبلغ حد الغرامة عشرة آلاف شيكل "إسرائيلي"، ما يقرب من 2500 دولار أمريكي، بتهم المشاركة في المظاهرات، والتحريض على "الشغب"، والانتماء لمنظمات غير قانونية، ومخالفة إجراءات الأمن، كقذف الحجارة، والتجمع غير القانوني، وتوزيع النشرات وكتابتها.

وفي حزيران من عام 1981، أعلن "بيغن" رئيس الوزراء، تجديد العمل بهذه السياسة، ورافقها فرض قيود جديدة على الجامعات والصحف، وزيادة في حظر التجوال والحظر التجاري، وازدياد اللجوء إلى الضرب، وقمع للأنشطة والأعمال الأدبية والفنية المعبرة عن الهوية والثقافة الوطنيتين الفلسطينيين.⁽⁶⁸⁾

(67) يعقوب، محمد، الانتفاضة وانتهاك "إسرائيل" لحقوق الإنسان، شؤون فلسطينية، العدد 185، آب 1988، ص88.

(68) صايغ، يزيد، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 2002، ص729.

د. عدنان أبو عامر

وشوهد في السنوات اللاحقة حضور ملحوظ لجيش الاحتلال في الضفة والقطاع، حيث يجوب جنوده المسلحون شوارع المدن والقرى، للتحقق من فتح المتاجر التي تريدها الإدارة العسكرية مفتوحة، والتحقق من الوثائق الثبوتية، وما يكتب على الجدران من شعارات يمحي فوراً على يد المواطنين المحليين الذين يساقون للقيام بهذا الأمر.

وشكلت في آذار 1983 لجنة لمناقشة إجراءات جديدة لاستعمالها ضد المتظاهرين، وشملت: إطلاق قذائف الغاز المسيل للدموع من مسافات قصيرة، رش الماء الأزرق من خراطيم سيارات الإطفاء، لتظل آثار مشاركتهم في المظاهرات بارزة لتسهيل اعتقالهم. وفي آب 1985، ازداد تدهور أوضاع حقوق الإنسان الفلسطيني، وظهرت زيادة في حالات قتل وجرح المتظاهرين، والاعتقال والحبس الإداري التعسفي للمئات منهم، وجباية ضرائب وفرض رسوم باهظة، وإغلاق مكاتب الصحف ونقابات العمال، مما لقي شجباً من المؤسسات الدولية.

حيث أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة القرار رقم 3525 بتاريخ 15/كانون أول/1975، الذي أدان السياسات والممارسات "الإسرائيلية" التالية:

- 1- ضم أجزاء من الأراضي الفلسطينية المحتلة.
 - 2- إنشاء مستوطنات جديدة، ونقل سكان أغراب إليها.
 - 3- تدمير المنازل وهدمها، ومصادرة الممتلكات العربية، ونزع ملكيتها.
 - 4- إجلاء وترحيل وطرده وتشريد ونقل السكان.
 - 5- الاعتقالات الجماعية والإخضاع للحجز الإداري وإساءة المعاملة.
 - 6- نهب الممتلكات الأثرية والثقافية، والتعرض للحريات والشعائر الدينية.⁽⁶⁹⁾
- وبالتالي، اعتبرت العقوبات الجماعية المفروضة على قرى بأكملها، ومخيمات اللاجئين، من السمات التي اتسمت بها جهود الاحتلال لـ"تجفيف" التعاطف الشعبي مع المقاومة، على افتراض أن معارضة الفلسطينيين للاحتلال يمكن القضاء عليها بالاستعمال المكثف للقمع، بحيث تقتصر المقاومة على عدد ضئيل من عناصرها وأنصارهم.
- واتبع الاحتلال لمواجهة العمليات الفدائية ونشاط المقاومة أساليب مضادة وطرق مواجهة:
- 1- سور للإنذار المبكر على الحدود الأردنية، وتشكل من تحصينات مسيجة بالأسلاك الشائكة وحقول الألغام، مع دوريات مرور شبه دائمة لملاحقة أي متسللين مقاومين.

(69) هيئة الأمم المتحدة، القضية الفلسطينية 1979-1990، الأمم المتحدة، نيويورك، ط1، 1991، ص38.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

- 2- تواجد عناصر من طليعة جيش الاحتلال من كتيبة وادي الأردن، المعروفة باسم "هابيكسا"، وتشكلت من قوة استطلاعية، ومن الرجال البدو قصاصي الأثر.
- 3- قصف التجمعات المدنية والعسكرية في وادي الأردن وفقاً لسياسة "الأرض المحروقة"، التي دفعت بسكان الغور الشرقي إلى النزوح، واضطرت الفدائيين والجيش الأردني لإعادة الانتشار في التلال الشرقية والعمق.
- 4- عبور نهر الأردن بالدوريات الراجلة والقوات المحمولة جواً، والقصف الشديد في العمق، وقد هاجمت قوة مدرعة ومشاة إسرائيلية بلدة السموع بتاريخ 12/نيسان/1966، فدمرت 140 منزلاً واستشهد 18 مواطناً، وبتاريخ 15/آب/1968 شن الاحتلال غارة جوية على مدينة السلط الأردنية فاستشهد 28 شخصاً.
- 5- تكررت الاختراقات "الإسرائيلية" على الحدود العربية، كما حدث في جنوب لبنان بعد مطلع عام 1970، فقد قام الاحتلال بعملية سرية كبيرة في منطقة "العرقوب"، وشقت قوة من الجيش طريقاً في القطاع الشرقي، ومن ثم إلى ثلاث محاور تجاه قرى شبعاء وكفر شوبا وراشيا الفخار"، وتألقت من كتائب مدرعة ومشاة ووحدة هندسة وأمامها جرافات.
- 6- أصدر وزير الحرب في حينه "موشيه ديان" قراراً بإخراج الجيش من داخل مخيمات القطاع أوائل عام 1970، لتخفيف الاحتكاك مع الفلسطينيين، وبعد أن وقعت عملية فدائية نهاية العام، قتل فيها مستوطنان، قرر القضاء على المقاومة، وإعادة ما أسماه الهدوء إلى قطاع غزة، وأوكلت هذه المهمة لـ"أريئيل شارون"⁽⁷⁰⁾، قائد المنطقة الجنوبية في حينه.
- 7- قام "شارون" بتقسيم القطاع إلى أحياء، وكلفت وحدة من نخبة "الكوماندوز" بتمشيط المنطقة حياً إثر آخر، وبتفجير الأنفاق في بعض الأحيان، وقتل من بداخلها من الفدائيين، حيث ابتكر عدة طرق في هذا المجال، ومن أهمها:
 - أ- من أجل فتح المخيمات والسماح بسهولة الحركة العسكرية من دخولها، قرر تفجير المنازل وتجريف بعضها، ونقل سكانها إلى مناطق أخرى، لإقامة طرق واسعة.

(70) من مواليد 1928، انخرط في صفوف الهاغاناه، كُلف بتشكيل وحدة 101 بعد تنفيذ مجزرة قبية، وتولى قيادة فرقة مظليين خلال حرب سيناء، ثم عُيّن قائداً للواء الجنوب في الجيش، وقاد حملات اغتيالات واعتقالات كبيرة ضدّ المقاومين في غزة. سعى لتعميق حركة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وأقام علاقات مع الحركات الاستيطانية، وكان مع أشد معارضي اتفاقيات كامب ديفيد. تولى حقيبة الدفاع ضمن حكومة بيغن، ودعا للتخلص من منظمة التحرير وإخراجها من لبنان بالكامل، ونفذ مذابح صبرا وشاتيلا سنة 1982، والتي راح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين.

د. عدنان أبو عامر

ب - اعتقال عائلات المقاومين، وإرسالهم إلى معسكر اعتقال في سيناء اسمه "أبو زينة".
ت - قطع الأجزاء السفلى من جميع الأشجار المنتشرة على طول قطاع غزة، لتحسين المراقبة والرمي، وإزالة الأغطية وإغلاق الكهوف.
وبعد عدة عمليات فدائية انطلقت من قرية الكرامة على الحدود الأردنية، ضد مواقع العدو الإسرائيلي في مناطق "القدس وبيتاح تكفا وبتانيا وبيسان"، استنفرت قوات الاحتلال وباشرت بالتحضير للمعركة، التي أطلقت عليها اسم "جهنم"، واندلعت بتاريخ 21/آذار/1968، وتقرر أن تكون صاعقة وسريعة هدفها تصفية ما يمكن من الفدائيين عبر ضربة حاسمة وقوية.⁽⁷¹⁾

● الخاتمة

اجتازت المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة وخارجها بين عامي 1967-1987، عدة مراحل تاريخية وسياسية وميدانية، بحيث ظهرت وكأنها تتجه بالضفة الغربية وقطاع غزة نحو ثورة شعبية حقيقية، بدأت بالتظاهرات التي شملت المناطق المحتلة طوياً وعرضاً، ودخلت الشوارع والأحياء والأزقة، مثلما اجتاحت المدن والقرى والمخيمات، وضمت كافة قطاعات السكان، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، مسلمين ومسيحيين، وباتت ثورة شاملة ضد الاحتلال.

وشارك الجميع خلال هذه المرحلة في موجة العصيانات العامة التي شهدت حملة استقالات واسعة في صفوف الشرطة ورجال البلديات المعينين، وتوقف العمال العرب عن الالتحاق في المشاريع "الإسرائيلية"، ومقاطعة المواطنين عموماً للسلطة الاحتلالية التي ظهرت جلياً في خضم المعركة التي خاضوها للانفصال عنها، وخلق أجهزة السلطة المحلية البديلة.
ونجحت المقاومة خلال تلك المرحلة التاريخية، ما بعد الاحتلال وما قبل الانتفاضة بين عامي 1967-1987، بشقيها: المدنية والمسلحة، في تحقيق جملة من الأهداف على مختلف الأصعدة، أهمها:

1 - تحولها إلى جزء من الذاكرة التاريخية الجماعية للشعب الفلسطيني، فلن يسجلها التاريخ كتجربة فاشلة أو هزيمة، لأنه لأول مرة بعد احتلال عام 1967 رفض الفلسطينيون داخل الأرض المحتلة عن أنفسهم مفهوم "الضحية".

(71) السنوار، مرجع سابق، ص56.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

2- عبرت عن فهم عميق لمتطلبات كل مرحلة نضالية بعينها، فامتنع آلاف العمال عن الذهاب لأعمالهم في مصانع الاحتلال، مما ترك أثره المباشر على اقتصاده، ورفع كلفة احتلاله من جميع النواحي الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فضلاً على صعيد الرأي العام العالمي.

3- شكلت صدمة عنيفة لدولة الاحتلال التي لم تتوقع أن يتحرك الداخل الفلسطيني ضدها، بعد أن وجهت كل اهتمامها وجهدها لسحق مشروع المقاومة الخارجي، ونجحت في ذلك إلى حد كبير، وبالتالي أعادت المقاومة للشعب الفلسطيني ثقته بنفسه، وبقدرته على مواجهة الاحتلال، وخلقت حاجزاً نفسياً بين الفلسطينيين ومحتلبيهم، بعد أن كادت السنون تقضي عليه، وتستبدله بالتعايش الطبيعي غير المقبول، بين الجاني والضحية، كما شكلت محضناً وطنياً لجيل المقاومة الذي خاض غمار مراحلها.

4- أفرزت المقاومة مجموعات منظمة تطورت لتشكل أزرعاً عسكرية ضاربة، أسهمت مساهمة كبيرة في تغيير تاريخ المنطقة، وصياغته من جديد، وعززت بشكل كبير مشروعها على كافة الأصعدة، وأبرزته كخيار أساسي ورئيس أمام الشعب الفلسطيني، وفتحت أبواباً عديدة لأشكال مختلفة من العمل المقاوم انخرطت فيه شرائح مختلفة منه.

لقد كان الوضوح في أهداف المقاومة في تلك المرحلة التاريخية التي استعرضتها الدراسة، من أهم الأسباب التي عبأت الشعب حولها، فدفعته لتقديم أروع صورها غير آبه بالتضحيات، وشغل العالم، وأثار تعاطفه معه، ورد للقضية الفلسطينية مكانتها.

وفي الإطار نفسه تمكنت من شق الإجماع "الإسرائيلي" المتوارث خلف الخيار العسكري، والتفوق في القوة على العرب والفلسطينيين، بعد أن ارتفعت أصوات تشكك فيه، لأن هذه القوة والتفوق وقفا عاجزين عن حسم هذا النوع من المقاومة طوال تلك العقود.

• ملاحق الدراسة

مواقع المقاومة العسكرية بين عامي 1967-1987

الفترة	عنوان المرحلة	الشرح
1970-1967	الطوق الكامل	استخدام كافة الحدود العربية (الفترة الذهبية)
1982-1970	الطوق المنقوص	استخدام الحدود اللبنانية بشكل رئيسي
1987-1982	الطوق المفقود	بعد الخروج من لبنان

إحصائيات العمليات الفدائية بين عامي 1967-1970

د. عدنان أبو عامر

السنة	عدد العمليات لكل شهر
1967	12
1968	52
1969	199
1970	279

أبرز العمليات الفدائية بين عامي 1967-1987⁽⁷²⁾

النتيجة	التاريخ	اسم العملية	الجهة المنفذة
100 من القتلى والجرحى	1975/3/6	عملية سافوي	فتح
37 قتيلاً، و 82 جريحاً	1978/3/11	عملية كمال العدوان (دلال المغربي)	فتح
31 قتيلاً، و 80 جريحاً	1972/5/30	اختطاف الطائرات	الجهة الشعبية
18 قتيلاً، و 15 جريحاً	1974/4/11	عملية الخالصة	الجهة الشعبية
-----	1987/11	عملية الطائرة الشراعية	الجهة الشعبية القيادة العامة
27 قتيلاً، وعشرات الجرحى	1974/5/15	عملية ترشينا	الجهة الديمقراطية
-----	1977/8/4	عملية بيسان-طبريا-عين زيف-القدس	الجهة الديمقراطية
11 قتيلاً من الرياضيين الإسرائيليين	1972/9/5	عملية ميونيخ	أيلول الأسود
عشرات الجرحى	حتى عام 1980	عدة عمليات	أسرة الجهاد
-----	1987-1982	إعداد سري تم اكتشافه	التيار الإسلامي
80 من القتلى والجرحى	1986/10/16	عملية باب المغاربة	حركة الجهاد الإسلامي

جدول إحصائي بعمليات المقاومة بين 1972-1981⁽⁷³⁾

السنة	لبنان	سوريا	الأردن	غزة وسيناء	قناة السويس	الضفة الغربية	"إسرائيل"	خارج البلاد	إجمالي
1972	30	122	8	65	6	22	18	20	291
1973	33	106	3	32	476	40	28	34	752

(71) صالح، مرجع سابق، ص 254.

(72) بافير، مرجع سابق، ص 168.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

164 1	4	51	52	271	25	7	112 2	10 9	1974
345	4	104	79	-	24	9	5	11 8	1975
135	12	38	49	-	17	4	1	14	1976
167	6	62	36	-	3	3	3	44	1977
272	12	98	73	-	17	2	1	69	1978
289	18	153	52	-	29	4	1	32	1979
263	13	81	90	-	59	2	-	18	1980
277	-	70	100	-	43	-	-	63	1981
4432 عملية									المجموع

جدول توضيحي لخسائر الاحتلال بين عامي 1972-1981⁽⁷⁴⁾

إجمالي	1981	1980	1979	1978	1977	1976	1975	1974	1973	1972	1971	1970	تقديرات سنوية
131	9	10	16	12	10	10	10	11	6	8	5	9	عدد العمليات
122	7	8	15	12	10	8	9	11	5	8	5	9	أهداف مدنية
273	3	13	19	49	7	4	44	60	1	32	5	24	قتلى
1615	21	66	259	281	109	75	158	214	16	101	45	115	جرحي
61		5	8	12		1	10	17		8	-	-	خسائر الفدائيين
324	12	4	46	32	38	30	8	12	24	16	8	18	خسائر مادية

جدول توضيحي بأهم عمليات منظمة أيلول الأسود بين عامي 1970-1973⁽⁷⁵⁾

الموقع	الهدف	التاريخ
باراغواي	إطلاق النار على السفارة الإسرائيلية	1970/5/4
مدريد	تفجير طائرة "عالية" الأردنية	1971/8/24
ليبيا	اختطاف طائرة عالية الأردنية	1971/9/8
لندن، روما، جنيف، باريس	إرسال طرود بريدية مفخخة إلى موظفين "إسرائيليين" ومصالح يهودية	أيلول - تشرين ثاني 1972
القاهرة	اغتيال وصفي النل رئيس وزراء الأردن	1971/11/28
لندن	إصابة السفير الأردني زيد الرفاعي	1971/12/15
أماكن متعددة	هجمات ضد أهداف أردنية	كانون أول 1971، وكانون ثاني 1972
ألمانيا	اغتيال 5 أردنيين	1972/2/5

(73) المرجع السابق، ص 198.

(74) أبو زائدة، مرجع سابق، ص 96.

د. عدنان أبو عامر

1972/2/6	تفجير شركة غاز هولندية، وشركة إلكترونيات ألمانية	هولندا-ألمانيا
1972/5/8	خطف طائرة "سابينا" البلجيكية	بروكسيل
1972/8/4	نسف خزانات نفط إيطالية	تريستا
1972/9/5	مقتل 11 لاعب "إسرائيلي" في ميونخ	ألمانيا
1972/9/10	إطلاق النار على السفير "الإسرائيلي" في بلجيكا	بروكسيل
1972/9/19	اغتيال خبير اقتصاد "إسرائيلي" في بريطانيا	لندن
1972/10/29	خطف طائرة لوفتهانزا، ومبادلتها بأسرى	دمشق
1972/12/20	إطلاق صواريخه باتجاه السفارة الأمريكية في لبنان	بيروت
1972/12/28	احتجاز رهائن في السفارة الإسرائيلية في تايلاند	بانكوك
1973/1/8م	وكالة الهجرة اليهودية (الصهيونية) تفجير	باريس
1973/3/4م	سفينة يونانية (السياحة الإسرائيلية) تفجير	بيروت
1973/3/8	استهداف السفارة السعودية ومقتل السفير الأمريكي والقائم بأعماله ودبلوماسي بلجيكي في السودان	الخرطوم
1973/4/9	محاولة نسف شقة السفير "الإسرائيلي" في قبرص	نيقوسيا
1973/8/5	استهداف مجموعة من الإسرائيليين في مطار يوناني	أثينا
1973/9/5م	استهداف السفارات السعودية واحتجاز رهائن فيها	باريس، الكويت

* مراجع الدراسة

أ- المراجع العربية

- 1- الأزعر، محمد خالد، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، مركز الوحدة العربية، بيروت، 1991.
- 2- جاد الله، غانم، علاقة منظمة التحرير بالنظم الأردني، دار الأسوار، عكا، 1987.
- 3- الجيوسي، عبد الفتاح، فلسطين المحتلة 1985-1987 الصمود والتحدي، دار الكرمل، عمان، 1988.
- 4- حرب، أسامة، الإستراتيجية الإسرائيلية والمقاومة في الأرض المحتلة، مركز الأهرام للدراسات، 1977.
- 5- خلف، صلاح، فلسطيني بلا هوية، بدون دار نشر، 1978.
- 6- الرنتيسي، فايز، أضواء على مسيرة الثورة المعاصرة 1948-1986، مؤسسة العهد، الدوحة، 1987.

تطور المقاومة الفلسطينية: الشعبية والمسلحة بين عامي 1967-1987

- 7- أبو زائدة، حاتم، الكفاح الفلسطيني المسلح: حصاد في ظل الحصار، مركز أبحاث المستقبل، غزة، 2006.
 - 8- السنوار، زكريا، العمل الفدائي في قطاع غزة 1967-1973، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2003.
 - 9- السيد، مصطفى كامل، البدائل المتاحة أمام المقاومة في الوقت الحاضر، المستقبل العربي، القاهرة، 1983.
 - 10- الشنار، حازم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الانتفاضة، جمعية الشؤون الدولية، القدس، 1989.
 - 11- صالح، محسن، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2003.
 - 12- صايغ، يزيد، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002.
 - 13- عبد الرحمن، أسعد، ونواف الزرو، الانتفاضة مقدمات وقائع آفاق، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1989.
 - 14- علوش، ناجي، فكر حركة المقاومة الفلسطينية 48-1987، الموسوعة الفلسطينية، بيروت، 1990.
 - 15- الغول، عمر، الانتفاضة: ثورة كانون إنجازات وآفاق، مؤسسة عيال للدراسات، دمشق، 1990.
 - 16- القشطيني، خالد، المقاومة المدنية في فلسطين، الموسوعة الفلسطينية، بيروت، 1985.
 - 17- النشاش، عبد الهادي، الانتفاضة الكبرى وأثرها على الكيان الصهيوني، دار الينايبع للنشر، دمشق، 1994.
 - 18- هيئة الأمم المتحدة، القضية الفلسطينية 1979-1990، الأمم المتحدة، نيويورك، 1991.
- ب - المراجع "الإسرائيلية"
- 19- أفينر، أوري، انتفاضة، مكتبة بيت إيل، بيت إيل، 1990.
 - 20- إيلان، باقير، ويعقوب أزر، الجيش الإسرائيلي موسوعة الجيش والأمن 1968-1981، نل أبيب، 1984.
 - 21- شيف، زئيف، يعاري، إيهود، انتفاضة، دار شوكن، القدس، 1990.

د. عدنان أبو عامر

22- كاتس، صموئيل، حرب الثلاثون عاماً، ترجمة تحسين الحلبي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1997.

ج- الدوريات العربية

23- الأشهب، نعيم، العصيان الوطني بين الطموح والإمكانيات، صوت الوطن، ع3، تشرين ثاني، 1989.

24- تماري، سليم، العصيان المحدود والمجتمع المدني، الدراسات الفلسطينية، ع3، صيف 1990.

25- سوداح، سعاد، جسر الاحتلال وفضان الانتفاضة، فلسطين الثورة، ع733، 1989/1/22.

26- مصطفى، وليد: الضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال، شؤون فلسطينية، ع162، أيلول 1986.

27- ياسين، عبد القادر، الحركة السياسية في قطاع غزة 1948-1987، مجلة صامد، ع23، تموز 1988.

28- يعقوب، محمد، الانتفاضة وانتهاك "إسرائيل" لحقوق الإنسان، شؤون فلسطينية، ع185، آب 1988.

د- الصحف "الإسرائيلية"

29- هآرتس، 1972/9/22.

30- معاريف، 1987/11/26.

31- يديعوت أحرونوت، 1988/12/2.